مصطفى محمود



أيها السادة.. اخلعوا الأقنعة



ر المعارف

مصطفى محمود

أيها السادة.. اخلعوا الأقنعة

الطبعة السادسة



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

الدعارة بالكلمات

أخطر أسلحة القرن العشرين...

الاختراع رقم واحد الذى غير مسار التاريخ.. هو جهاز الاعلام..

الكلمة.. زميل الذى يشكل العقول...

أنهار الصحف التى تغسل أمخاخ القراء..

اللافتات واليفط.. والشعارات.. التى تقود المظاهرات..

التليفزيون الذى يفرغ نفوس المشاهدين من محتوياتها ثـم يعـود فيملؤها من جديد بكل ما هو خفيف وتافه.

وأخطر ما فى سلاح الكلمة أنها دائمـا ذات وجهيـن وأنهـا تـوزن بمكيالين.. روسيا أقامت الدنيا وأقعدتها حينما غزت أمـريكا فيتنـام، وارتفع صوت الأبواق من موسكو ومن ورائها كتائب اليسار فى كل بلد من شواطئ الأطلنطى إلى الهادى تحتج على الظلم والقهـر والاسـتعمار

وإهدار الحريات، وتحركت المسيرات ونظمت الاضرابات وارتفعت اللافتات، وامتلأت الصحف بالهجوم على أمريكا والاشادة بنضال فيتنام الباسل الأسطورى، وحينما داست الدبابات السوفيتية أرض المجر.. وحينما احتل الجيش السوفيتى تشيكسلوفاكيا.. وحينما استولت روسيا على أفغانستان بالغزو العسكرى السافر، سكتت أبواق اليسار وأصابها الصمم والبكم، ولم تتيقظ هذه الأقلام من سباتها العميق إلا حينما نزل جنود المظلات الأمريكان على جزيرة جرانادا، فعادت البرافدا تستصرخ العالم على العدوان الأمريكى على الحريات وعلى الشعب الأعزل فى جرانادا، وهو لا يزيد على بضعة آلاف على رقعة أرض أصغر من طنطا.

ونسيت الأقلام وتناست ما جرى وما يجرى من قتل وتشريد الملايين من مسلمى أفغانستان وإحراقهم بالنابالم والقضاء عليهم بالغازات السامة وإتلاف مزروعاتهم وماشيتهم بالمبيدات.

وكأنما للحرية وجهان وللموت مكيالان.

واليوم نرى أوربا الغربية تقوم قيامة رجل واحد وتكتسح الشوارع بالمظاهرات والاضرابات والهتافات محتجة على نشر الصواريخ الأمريكية.. وتردد هتاف موسكو على السلام المهدد الجريح فى حين تنشر روسيا صواريخها النووية فى أوربا الشرقية دون أن تتحرك مظاهرة واحدة ودون أن يسمع هتاف واحد على السلام المجنى عليه..

وكأنما للسلام معنى روسى غير المعنى الأمريكى، ويحلو لأصحابنا الشيوعيين أن يتغنوا دائما بشرف الكلمة.. وما فقدت الكلمة شرفها إلا على أيديهم..

ولا أبرئ الأمريكان فهم أسوأ ولم نعرف من تغنــي بــالديموقراطية مثلهم، بل هم يحتلون جرانادا باسم الديمقراطية، ويحتلون فيتنام باسم الدفاع عن الديمقراطية، ويرابطون فى لبنــان بــاسم الــدفاع عــن الديمقراطية، ومع ذلك فهم وراء كل انقلاب عسكرى وخلف كل حــكومه فاشية تذبح الديمقراطية حتى النخاع.

إن الرؤية من جانب اليمين مثلها مثل الرؤية من جانب اليسار نصف عمياء فكل واحد لا يرى من ناحيته إلا هواه ومصلحته ولا يبصر إلا وجه الكلمة الذى يناسبه، وهو يرفع لافتة كاذبة ويروج شعارا مــزيفا ولــكن الحق واحد ولقد كان دائما واحدا.

وليس على يسار الحق إلا الباطل.

كما أنه ليس على يمينه إلا الباطل.

الحق واحد وليس له جانبان.. والحرية واحدة وليس لها معنيان.

ولكن الأجهزة الاعلامية ذات الصوت العالى الجهير تفــرغ عقــول الناس ثم تعود فتملؤها بما تريد وتزاول أخطر أنواع الــدعارة.. وهــى ما أسميه الدعارة بالكلمة والــزنى بــالمعانى والتنــويم المغنــطيسى بالحروف.

ألا تجلس أمريكا وروسيا على مائده واحــدة فى مفــاوضات لنــزع السلاح، وكلاهما فى نفس الوقت يبيع السلاح أكداســا إلــى الفــرقاء والخصماء فى بلادنا لنتقاتل حتى الموت.

وفى المواجهة السوفيتية الأمريكية فى كل بقعة من العالم.. من هم القتلى؟ إنهم الكوبيون فى جرانادا والصوماليون فى الأوجادين والأحباش فى أريتريا واليمنيون فى عدن والوطنيون فى نيكاراجوا والأفريقيون فى أنجولا.

إنهم يدجلون علينا بالكلمات ونحن الذين نموت مخدوعين بهذا العسل الاعلامى المسموم.

وذلك هو عصر التجارة بالكلمات والتخدير بالشعارات والتنويم المغنطيسى بالعبارات وقيادة الشعوب المتخلفة إلى مصارعها بهذا الحداء الساحر الذى يغازل الآذان بما تحب وتعشق فيضعون لنا السم فى تلك العبوات الجميلة التى اسمها الحرية.. والعدالة.. والمساواة.. ويتغنون بها فى أسماعنا حتى ننام عليها ثم يذبحوننا ذبح الشياه.

وذلك هو «زخرف القول» الذى ذكره الله فى قرآنه فقال يصف هذه الطغمة الماكرة التى تلعب بالعقول:

(شياطين الانس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا)

[١١٢ - الأنعام]

لقد بات ضروريا أن يضع كل منا مرشحا على أذنه ومرشحا آخر على عينيه ليرشح كل ما يسمع وكل ما يرى وليغربل المشاهد والأقوال.

بات ضروريا أن يقيم أكشاك الحراسة على كل مداخل حواسه ويحول عقله من قارئ إلى ناقد.

بات ضروريا ألا نستمع إلى أى شىء فى استسلام وحسن نية بل نصغى إليه فى شك وارتياب وتحسب.

إذا صرخت الأحزاب الشيوعية منادية بالحرية فى شوارع روما ولندن وباريس ونيويورك.. قلنا لهم ولماذا ترفضون نفس الحرية إذا نادى بها العمال فى بولندا.. ولماذا تعتقلون ليخ فاليسيا ولماذا تغلقون نقابات التضامن فى جدانسك.. ولماذا ضربتم دوبتشك فى تشيكوسلوفاكيا ودخلتم عليه بالدبابات والمصفحات وأسكتم صوته وخنقتم صراخ الحرية فى فمه؟.

هل الحرية حلال إذا كانت لكم وحرام إذا كانت عليكم؟.

هل هى حرب حريات أو هى حرب مصالح؟.

لماذا لا تخلعوا أقنعة النفاق والتدليس وتكفوا عن خداع الشباب وتقولوها صريحة.. إنها صراع دول كبرى وتنازع سلطة وقتال خرتيت روسى مع خرتيت أمريكى.. لا مبدأ فيه ولا أخلاق.. وإنما حرب المخلب والناب وتنافس على مناطق النفوذ وتسابق إلى الكنوز ومناطق الثروات.

ولماذا لا تقولون إنها مافيا تطلق على بعضها الرصاص، لا ناقة لنا فيها ولا جمل.

ولكن أحدا لن يستجيب..

ولن نجد من يتكلم بصراحة..

وإنما شعار اليوم هو الكلمات الملثمة.. كل كلمة تلبس ظاهرا مزخرفا

غير باطنها.. وكل وجه يرتدى قناعا وكل خنجر مسموم يخفى نفسه داخل قفاز حريرى معطر.

ونحن العرب دائما الهدف.

ومنطقتنا الملتهبة هى الساحة ورقعة الشطرنج.

وثرواتنا هى المطمع..

فهل نفيق ونصحو ونسترد وعينا؟

أم نعود لنشرب ونسكر على أغانى الحرية وأناشيد العدالة التى عتقت لنا فى دنان موسكو ووشنجطن ثم ننطلق نتظاهر ونهتف ولا ندرك أنهم هم الذين وضعوا الكلمات فى أفواهنا.. وأننا مخمورون مخدرون ننفذ لهم مخططاتهم دون أن ندرى.. ونظن أننا نقود ونحن الذين نقاد.. ونحسب أنفسنا سادة لهم ونحن لهم عبيد مسخرون.

هل نفكر قليلاً.. ونتردد قليلا.. قبل أن نلعب اللعبة القادمة القاتلة على رقعة الشطرنج..؟؟!! أم نتركهم يلعبوها لنا كالعادة.

ترى هل آن الأوان لنفكر..؟؟!!

هل وصلنا إلى نقطة انعدام الرؤية

بحر السياسة غريق، والطالب الذى يقود المظاهرة ويهتف لم يعد يعرف ماذا يخدم ومن يخدم، وغالبا ما يكتشف أنه كان مستخدما من قبل آخرين دون أن يدرى، وأنه كان أداة هدم من حيث ظن أنه أداة بناء، وكان عونا للشيطان من حيث تصور أنه داعية إلى حق.. بل إن الكلمات التى يهتف بها فى حماس وبراءة.. غالبا ما يكتشف أنها لم تكن كلماته، وإنما هناك من مكر به ووضعها فى فمه.

والدول الصغرى حالها أصبح مثل حال هذا الطالب، فهى فى بحر السياسة لعبة الدول الكبرى، والزعماء الصغار ألعوبة الكبار وأخطبوط المصالح وراء مسرح المبادئ، والدبلوماسية مناورات من الكذب الأنيق، والأحلاف مصالحات مرحلية ثم يعود فينقض كل طرف على الآخر حينما يتغير اتجاه المصلحة..

العثور على الحقيقة الآن أصعب من العثور على إبرة فى الظلام، والمواطن العادى وقارئ الصحيفة العادى أبعد الناس عن إدراك

ما يحدث تحت قدميه، وأجهزة الاعلام تغسل مخه كل يـوم والأخبـار تضلله والاعلانات تستغله والسينما تستهويه والمسرح يقتل وقته.

اختلط الأمر فى كل شئ حتى فى اللحى.. فأصبحت ترى غابات مـن اللحى ولا تعرف ماذا تحتها.. المشايخ لهم لحى ومطربو الديسكو لهـم لحى والوجوديون لهم لحى والشيوعيون لهم لحى والهيبـز لهـم لحـى ومدمنو المخدرات لهم لحى.. وكلمات الاسلام يتاجر بها المؤمن والكافر ويسرح بها الكل فى السوق.

فى موسم الحج هذا العام شوهد ألوف من الايـرانيين يسـيرون فى مظاهرات هاتفين الله أكبر.. خومينى رهبر.. الله واحد وخومينى قـائد.. الموت لاسرائيل .. الموت لأمريكا.. لم يطلقوا هتافا واحدا ضد روسيا.

وتعجب الحجاج المسلمون من إعفاء روسيا من الهجوم برغم أنهـا تدوس المسلمين بالدبابات فى أفغانستان وتقتلهم بـالغازات السـامة فى مخابئهم بالجبال وتشردهم بالألوف من بلادهم.

وكان الزميل الحمزة دعبس صاحب جريدة النور ضـمن الحجـاج واقترب من صاحبنا الايرانى الذى يهتف سائلا.

- هل يطبق الخومينى حدود الله فى إيران.. هل يقطع يد السارق أو يرجم الزانى أو يجلد شارب الخمر؟

قال الايرانى: لا.

ثم عاد فاستدرك وقد شعر أنه وقع فى مطب:

- هو لا يطبق الحدود على سارق أو زان أو شارب خمر لسبب بسيط هو أن إيران قد تطهرت تماما ولا يوجد فيها سارق واحد ولا زان واحد ولا شارب خمر واحد.

قال الزميل الحمزة دعبس فى دهشة:

- يا أخا الاسلام هذه مخالفات ارتكبت فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وفى عهد الخلفاء الراشدين وطبقت فيها الحدود.

قال صاحبنا الايرانى:

- أما عندنا فلا.

إن إيران على زعم صاحبنا الايرانى أطهر من المدينة المنورة على عهد النبى عليه الصلاة والسلام.. ولا ندرى كيف تطهرت.. وماذا كان حال الخومينى معها قبل أن تتطهر؟.

إنه أيضا لم يطبق حدا فى شريعة لا قبل ولا بعد هذا التطهر المزعوم، لم يقطع يدا فى سرقة ولكنه قطع رقاب مخالفيه فى الرأى وأعدم إخوة له فى الاسلام ورفاقا له فى الكفاح لمجرد أنهم واجهوه فى سياسته.

والامام الخومينى يعلم أن القرآن صريح فى أخذ الجانى بجريرته وأنه يحرم أخذ الأبناء بما يفعل الآباء، وليس فى شريعة الاسلام اعتقال رهائن ألقت بهم المصادفة فى سفارة وإيداعهم السجن لمدة سنة بجريرة فعلتها حكومتهم.

إن أول شعار رفعه الخومينى وهو الرهائن لم يكن شعارا إسلاميا..

ولا الشعار الذى يهتف به الأتباع اليوم فى رواق الكعبة.. الله أكبر خومينى رهبر.. فلا أحد يذكر بعد الله إلا رسوله.. ولم يفعلها الأتباع تطوعا بل هو الذى قال فى كتابه «الحكومة الاسلامية».. الامام عندنا فى منزلة لم يبلغها نبى مقرب ولا ملك مرسل وله ينقاد الكون بذراته وجباله..

فإذا كانت تلك مكانة الامام.. فوق النبى المقرب وفوق الملك المرسل وله يأتمر الكون بجباله وذراته.. فمن يجرؤ على مساءلته وهو بعد الله على عرش الحكم.. الله أكبر خومينى رهبر..

أليست هى رخصة إلهية يمنحها الخومينى لنفسه بالحكم المطلق مخالفا بذلك الاسلام فى جوهره؟.. وإذا لم يكن الاسلام هو الذى يحكم من داخل عباءة هذا الرجل فمن يحكم.. ماذا وراء اللحى.. وماذا وراء منشورات لا إله الا الله؟.

لعلنا نعرف الاجابة الصحيحة إذا عرفنا من هم أصحاب المصلحة فى إشعال الفتن والحروب فى المنطقة البترولية.. ومن هم الذين يمدون الخومينى بالسلاح.. ومن هم الذين ينفخون فى النار كلما خبت.

إن اتفاق أقصى اليمين وأقصى اليسار ليس أمرا غريبا فى الأزمات فمراد الاثنين واحد.. كلاهما يهدف إلى قلب نظام الحكم.. ولا مانع من أن يستخدم أحدهما الآخر كرافعة يقلب بها النظام ثم يسارع فيلتقط الثمرة جاهزة دون أن يلوث يديه بدم الضحية.. واليسار الذكى يفعل هذا من داخل عباءة الخومينى.. إنه يدفع بالحوادث وينفخ فى أوارها ويزج بها إلى حافة الانهيار.. الانهيار الاقتصادى.. والانهيار الاجتماعى..

حتى يطم الطوفان فيتقدم ليرث أرضا تكره الدين من كثرة ما فعل الناس باسمه.. أرضا حرثها له خصومه الأغبياء فلم يتركوا فيها حجرا على حجر.

إن ما حدث فى إيران كان ثورة وانقلابا تغيرت فيه الرايات وتغير الجالسون على مربع السلطة ووضعت بطاقات جديدة على نفس البضاعة القديمة.. والمظالم هى المظالم .. لم يتغير شىء..

المظالم الآن اسمها إسلام.

وحرب الثأر مع العراق اسمها إسلام.

وتهديد حكومات الخليج اسمه نشر الاسلام.

مجرد أسماء.. مجرد كلمات.. ولكن الاسلام لا دخل له بما يجرى والاسلام لم يكسب بما يحدث بل خسر.. وأزدادت بالخومينى الفرقة بين المسلمين وازداد التمزق وازداد الخرق اتساعا ولم يعد المسلم يعرف عدوه من صديقه وبات الحليم حيران.. وكما قلت أصبحت رؤية الحقيقة أصعب من رؤية إبرة فى الظلام.

وخارج منطقه العراق وإيران تتكرر الحكاية. فى لبنان يتقاتل لبنانى ولبنانى.

وفى اليمن يتقاتل اليمنى الجنوبى مع اليمنى الشمالى.
وفى أطراف الشمال الأفريقى يتقاتل المغربى مع الجزائرى.

وفى داخل سوريا يدك الجيش السورى مدنا سورية بالمدافع ويهدمها

بالطائرات وفى مخيم نهر البارد يتقاتل الفلسطينى والفلسطينى، والنتيجة أن مجموع العرب حاصل طرح وليس حاصل جمع دولهم... المحصلة صفر والحركة متوقفة لأن كل واحد يضرب فى الآخر.. فى حين إسرائيل تكسب أرضا جديدة كل يوم.

والقوى التى تعمل طليقة فى الساحة ليست هى الاسلام ولا العروبة ولكنها العنصرية والطائفية والمذهبية العمياء والأطماع الشخصية والأحقاد والتارات وحب السلطة والمزايدات الفارغة.

هل وصلنا إلى نقطة انعدام الرؤية.

ألا نرى الهوة التى تتسع وتتسع تحت أقدامنا والتى سوف نتردى فيها جميعا إذا استمر هذا الانقسام والاختلاف؟.

أما جاء الوقت لنجلس معا ونطرح خلافاتنا ونتفق على حد أدنى من الالتقاء.. حد أدنى من اتفاق الكلمة؟.

إن مصر الحضارة والتاريخ تفتح ذراعيها لمصالحة شاملة ولفهم معتدل يستوعب التناقضات ويتجاوزها.. فهل تتغلب الحكمة..

وهل من مجيب..؟؟

عودة التتار

خبر جاءنا من إيطاليا ونشرته الصحف ومر مرورا عابرا دون وقفة أو تعليق.. ومع أن الخبر من سطرين.. فإن له دلالات خطيرة وبعيدة فى عالمنا المضطرب الذى نعيشه، والخبر يقول إن التحقيق كشف عن أن أربعة من الوزراء فى الوزارة الايطالية كانوا أعضاء فى المحفل الماسونى وأن الرئيس الايطالى قد أمر بطردهم وأمر بحل الوزارة.

والخبر يعود بنا إلى خبر مماثل منذ سنوات حينما اكتشف رئيس جمهورية داهومى الأفريقية السيد كريكو أن زوجته الماسونية والمحامى الماسونى بورنو يحاولان قتله والقيام بانقلاب يأتى على نظام الحكم تنفيذا لأمر الماسونية يساعدهما فى ذلك وزير الداخلية فألقى القبض عليهم وأعدمت الزوجة وأعدم الوزير، أما بورنو فقد تظاهر بالمرض واستدعى أحد الأطباء للكشف عليه وكان ماسونيا أيضا فقرر أن حالته خطيرة وتستدعى إجراء عملية جراحية وكان ذلك بحضور ممثل الصليب الأحمر الدولى.. وأدخل بورنو المستشفى وبطريقة سرية هرب منها

بسيارة دبلوماسية إلى مدينة لومى عاصمة توجو، حيث كانت مقر الماسونية فى أفريقيا ومن هناك سافر إلى أوربا.

هكذا بكل بساطة تخون الزوجة زوجها ويخون الوزير رئيسه ويخون الطبيب واجبه فيكذب عملا بمبدأ الماسونية: عليكم بالدفاع عن أخيكم ولو أتى منكرا.

ولقد صدق من قال إن الماسونية مشروع سياسى وإن هدفها تحطيم النظم القائمة وتهديم الأديان والعقائد وإن تسترت خلف أسماء بريئة مثل نوادى الروتارى والليونز والبناى برث وبرج المراقبة، وباشرت نشاطها كجمعيات خيرية عادية وإن أعلنت موقفا ظاهريا حياديا من النظم السياسية والأديان.

ومؤسس الماسونية سنة ١٧٤٨ ميلادية هو آدم وايزهاوبت وهو لاهوتى ارتد عن دينه واتخذ الالحاد عقيدة وأسس جماعة النورانيين وافتتح أول محفل ماسونى باسم محفل الشرق الكبير عام ١٧٧٦ وكانت خطته تخريب النظم والعقائد عن طريق السيطرة على وسائل الاعلام وشراء الذمم بالمال والرشوة والجنس وإشعال الثورات تحت ستار جماعات سرية ظاهر نشاطها الخير والدعوة للفضيلة. وفى عام ١٧٨٦ نشرت الحكومة البافارية الوثائق الكاملة لهذه الخطة الجهنمية تحت عنوان «الكتابات الأصلية لنظام ومذهب النورانيين».

وقد قيل الكثير عن أن الماسونية كانت وراء الثورة الفرنسية وكانت وراء الثورة الروسية.. وكانت وراء ثورة أتاتورك العلمانية فى تركيا

وأنا لا أرى داعيا لهذه المبالغة ولا أجد مبررا لرد كل شرور العالم إلى شيطان واحد هو آدم وايزهاويت ولاتوجد فى العالم أزمة شياطين. وإنما أرى أنه تيار عدمى قديم ممتد من الفكر تحت عدة أقنعة.. مرة تحت قناع الماسونية ومرة تحت قناع الشيوعية ومرة تحت قناع الفوضوية ومرة تحت قناع العبثية ومرة تحت قناع الفاشية ومرة تحت قناع الاقطاع البابوى الفاسد. وتيار الخوارج فى الاسلام كان رافدا قويا من هذا التيار العدمى ظهر مقنعا بقناع الدين والتشدد السلفى وخرجت منه طوائف الخرمية والقرامطة التى هدمت الكعبة وأعملت السيوف فى رقاب الحجاج.. ومنها خرجت جماعة المهدى التى طلعت أخيرا على الحرم بالمدافع الرشاشة.. ومنها خرجت جماعة التكفير والهجرة المنبثة بطول الوطن العربى.

وكل هذه الطوائف على اختلاف مللها ونحلها وانتماءاتها تتنادى بهتافات واحدة وبعبارات متشنجة واحدة وإن اختلفت الأقنعة فهى مرة إسلامية ومرة مسيحية ومرة علمانية ومرة ليبرالية حرة ومرة مثالية فكرية ومرة ذات أشكال بريئة لجمعيات خيرية، ولكن الخطة واحدة فى الجميع وهى التهييج والتحريض وإثارة الطبقات على بعضها وتأليب الناس على بعضهم والنفخ فى الأطماع والأحقاد والشهوات وتحريك الجانب المظلم والعدمى من النفس.

وفى كل منا جانب عدمى ومظلم من نفسه وهى نفسه الأمارة التى تدعوه إلى اليأس والقنوط والانتحار وتسلمه إلى الشهوة والغضب وتحفزه إلى الغيرة المجنونة والانتقام الأهوج. وهذا الجانب العدمى فى

كل منا هو نصيب الشيطان وهو حظه ومدخله ولهذا قال الحديث النبوى إن الشيطان يجرى منا مجرى الدم وهو يجرى فى هذه القناة العدمية فى كياننا.

وحينما يظهر القادة الشياطين العظام أمثال ماركس وهتلر وستالين ونيرون وكاليجولا تتداعى إليهم نفوس الأتباع ذوات الاستعداد الفطرى لهذه الدعوات وهى نفوس غلبت عليها الظلمة فهى جنود الشيطان من الأزل.. وما يحدث فى الدنيا إلا تحصيل حاصل لما كان فى علم الله الأزلى.. وإنما أراد الله بالدنيا كشف المكتوم وإخراج المخبوء فى هذه النفوس.. فحينما تعوى البومة يتنادى البوم فى كل الخرائب ويتجمعون طوائف وقبائل تحت ألف اسم واسم وتحت ألف شعار وشعار.. وما ملابس هؤلاء الأقوام وشعاراتهم ومذاهبهم المعلنة إلا مجرد أزياء تنكرية يخفون تحتها السيوف والحراب والخناجر والبارود فهم أبناء قبيلة واحدة وإن تسمى بعضهم بأسماء المسلمين وبعضهم بأسماء المسيحيين وبعضهم الآخر بأسماء الملاحدة.. هم رياح عدمية تهب لتحرق وتقتل وتهدم ولتشفى صدورها المريضة برؤية الدم فهم تتار اليوم والأمس..

وقد تختلف لغاتهم ولهجاتهم لكن أصواتهم ذات النبرة الحادة.. وتقلص ملامحهم وتشنج قسماتهم ومدخلهم الأفعوانى إلى غواية ضعاف العقول.. والغل الذى تنضح به قلوبهم سوف تكشف لك هويتهم فتقول لنفسك إنهم هم التتار، وشىء ما فى نظرات هؤلاء الناس.. شىء غائر أسود مثل نظرة الضب المسعور.. شىء مختلف تماما عن البساطة

والبراءة والوضاءة فى نظرات خلق الله العاديين.. هو ما تشف به نظراتهم عن الغور العدمى والظلمة الغالبة على نفوسهم. تلك النظرات التى تبعث فى الرجفة أحيانا.. وكأنى أنظر بعمق التاريخ فأرى كيف كان ينظر قابيل إلى هابيل قبل أن يهوى عليه بصخرة فيقتله. نعم فهذا أمر قديم جدا.. قدم التاريخ. فهم السفاحون منذ الأزل وإنما اختلفت ذرائعهم باختلاف الأعصر والحضارات وتلونت بتلون المبادئ والشعارات.. ولكن لا جديد.

والسؤال.. أليس لهؤلاء القوم عقول تعقل وتميز؟.

والجواب.. بل لهم عقول وأحيانا عقول عبقرية ولكنها عقول « اتجاه واحد » مثل الشوارع ذات الاتجاه الواحد فى المرور.. فهى عقول أسلمت ذواتها تماما وسخرت مهاراتها لنفوسهم العدمية ووضعت ذكاءها فى خدمة رغباتهم الظلمانية وكرست علمها ومنطقها لخدمة الباطل بالفكر والنظرية والعمل والتخطيط، فأصبحت عقولا عدمية هى الأخرى تسير فى اتجاه واحد نحو الهدم وتسخر له جميع مواهبها.

أما السؤال.. كيف ننقذ الشباب من هذه التيارات الفكرية العدمية.. فلا يوجد دواء جاهز ولا حقن ذات مفعول فورى لوقاية الشباب وهدايته. ولا جواب سوى التربية الصحيحة فى البيت والمدرسة من خلال القدوة والصحيفة والكتاب ووسائل الاعلام.. التربية على تحرير العقل ورفض المسلمات ورفض الانقياد الأعمى تحت أى راية وتحت أى شعار.. ومحاربة أساليب غسيل المخ فى السياسة والتربية والدين.. وإحياء الفطرة السليمة وتربية الوجدان على حب الجمال وكراهية القبح وحب

العدالة وكراهية الظلم وحب النظام وكراهية الفوضى وحب الخير وكراهية الشر.. وتلك هى فطرة الله التى فطر الناس عليها.. وعلينا بإحيائها وتربيتها فى البيت والمدرسة والمسجد والحياة لا أكثر.

فإذا كان الشاب موضوع هذه التربية هو من هذه القبيلة العدمية بحكم حقيقته فلن يجدى فيه وعد ولا وعيد ولا تربية ولا إصلاح.. إنما هو ممن قال الله فيهم:

(وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون)

(١٠ – يس)

فهو ممن سبق عليهم القول وغلبت عليهم شقوتهم منذ الأزل.. وهو نفس عدمية جندت روحها للهدم.. وهو من أصحاب العقول ذات الاتجاه الواحد.. ولن يصغى لك ولا لأحد ولن يستمع إلا لشيطانه.. ولو جندت له أرسطو لاقناعه فلن يفلح.

إنما تجدى النصيحة والتربية السليمة فى الكثرة من الشباب الذين يعيشون على حرف.. بين بين.. تتعادل فى نفوسهم النوازع السالبة والموجبة.. ويعيشون فى حيرة.. ويلتمسون المعرفة.. ويستمعون بعقول سوية ونفوس متفتحة للهداية.. ويرغبون فى الحق. أما الطائفة الأولى فهى من اختصاص الشرطة فهم لا يؤمنون إلا بنوع واحد من الحوار هو حوار المدافع الرشاشة وجدل البنادق السريعة الطلقات.

ولهم فى التاريخ سجل طويل منذ آدم ورواية تعددت فصولا ولم يأذن الله لها بانتهاء..

الفوضى.. والأمل

قال عمدة برلين فى حديث له: إن تعداد الشعب الألمانى فى تنـاقص وإنه مهدد بالانقراض، والقضية خطيرة والسبب عدم إقبال الشباب على الزواج وتفضيلهم للعلاقات الجنسية الحرة حيث يقضى كل شاب متعتـه مع الآخر بلا مسئولية، والقليل الذى يتزوج يؤثر منع الحمل لعدة سنوات تفاديا للأعباء المادية المرهقة وإيثارا لراحة البال والتفرغ للعمل نـظرا لأن كلا من الزوجين يعمل وكلا منهما يخرج إلى الشارع ويقضى معـظم الوقت فى الخارج ولا يجمعهما البيت إلا سويعات آخر الليل فمن يـرعى الطفل ومن يربيه ومن يجالسه ومن يحمله. والمربية الألمانية تطلب عدة آلاف من الماركات وغرفة مستقلة وإجازة أسـبوعية وإجـازة سـنوية وبوليصة تأمين ومكافأة للسفر إلى المصيف.

وأهل الشذوذ الجنسى حلوا المشكلة على طريقتهم، واكتفى كل منهم بأن يضاجع صاحبه والنتيجة أن تعداد النسل فى انحدار وأرقام الزواج فى هبوط، والأسر تسير إلى تفكك، والأبناء إلى شتات والأحفاد إلى عقم.

ولم يذكر عمدة برلين سببا كان هو السبب الأول وراء رعب الشباب من الزواج هو قيود الطلاق وقانون الأحوال الشخصية الألمانى الذى يقضى للمرأة فى حالة طلاقها بمناصفة الرجل كل ما يملك من أموال وأرصدة فى البنوك وعقارات بالاضافة إلى حق النصف فى ربح الشركه إذا كان يمتلك شركة وربح العيادة إذا كان يمتلك عيادة ودخل المستشفى إذا كان يمتلك مستشفى ومعنى ذلك أن تناصفه كفاحه وتاريخه دون أن تكون زوجة أو حتى قرينا متعاطفا وإنما مطلقة رافضة له مرفوضة منه فارقته وفارقها بعد شقاق وسوء عشرة لا أمل فيه..

ومثل هذا المصير أصبح يرعب الشاب أن ينتهى كفاحه وعرق جبينه ومكسبه إلى من يكره لا إلى من يحب.

ولخوف الشباب من الزواج أصبح لا يفكر فيه إلا بعد تجربة جنسية كاملة يخوضها مع البنت، وعشرة شبه زوجية بدون عقد وبالطبع لن تعطى هذه العلاقة أى ضمان.. لأن اللذة الجنسية ليست مقياسا للصلاحية وهى لاتستطيع وحدها أن تعمر البيوت..

فاللذة الجنسية التى تبدأ فى العادة حامية مشتعلة عند الطرفين ما تلبث أن تفتر.. ثم تبرد بحكم الاعتياد وموت الفضول.. فيبدأ كل قرين يبحث عنها فى مغامرة أخرى.. وتتكرر الخيانات وتصبح عادة ويموت الاهتمام بموت الثقة وينتهى الطرفان إلى انحلال لا يصلحان بعده لأى زواج، وتنتهى القصة بانتحار فى فندق أو إدمان المخدرات أو التنفيس عن الاحباط العاطفى بتربية القطط والكلاب وبذل ألوان الحنان الخرافى والعناية الخرافية لهذه الحيوانات، فنجد المرأة تصحب كلبها إلى كوافير

الكلاب وإلى سوبر ماركت متخصص لطعام الكلاب، وإذا عطس تجرى به إلى أخصائى الأمراض الصدرية للكلاب حيث تفحصه بأشعة إكس والأمواج فوق الصوتيه والكومبيوتر وتدفع عدة ألوف من الماركات وتعود وهى تحتضنه وتبكى فى حين أن أباها ملقى فى دار للمسنين لا أحد يسأل عنه.

شباب ضائع لا يعرف أين يضع عواطفه.

وعالم مادى صفيق يهرول، ليس عند أى واحد وقت ليستمع إلى أى واحد، وما نراه فى المانيا نراه فى فرنسا وفى إنجلترا وفى أمريكا.

ووسط هذا الضياع نسمع عن أنبياء جدد، وعن اليوجا، وعن البوذية، وعن الزن، وعن المهاريشى ماهيشى الذى جاء من الهند ومعه طريق جديد للخلاص، وعن جماعات مسيحية متطرفة تخرج فى تظاهرات حاملة لافتات تسب وتلعن هذا العالم الفاجر الداعر وتتوعده بسوء المنقلب وبعضها يكتب فى الصحف ويحاضر فى التليفزيون ولبعضها أحزاب وصوت فى البرلمان ونشاط سياسى.

ولكن كل هذا يذهب كزوبعة فى فنجان ويذوب كالهمس فى ضوضاء المادية العارم وسوق الدولار وحمى السلاح وصراع المذاهب والقلق على الغد.

والشباب يعالج القلق بمزيد من الانحلال حتى ينسى والحلقة مفرغة.

والشعار الذى تسمعه من كل شاب.. لنستمتع باليوم كأحسن ما نستطيع .. لنعيش لحظتنا.. دون تفكير فى غد أو فى عاقبة أى عمل..

ولكن ميزان المواليد مستمر فى الاختلال.. الأجناس البيضاء تتناقص وتنقرض والزنوج فى أمريكا يتحولون بالتدريج إلى أغلبية حاكمة.. ثم إن الجنس الأصفر الذى دخل بمنتجاته وبتجارته إلى أوربا والذى يتكاثر عددا بلا حدود سوف يكون هو الأغلبية الحاكمة فى آسيا وأوربا فى المستقبل القريب.

ولن ينفع مكر البيض فى جنوب أفريقيا شيئا، فالأفارقة السود يتوالدون أكثر منهم.. استعرضت فى ذهنى كل هذه المأساة وتتبعتها إلى سببها الحقيقى الأوحد.. الانحلال الجنسى وتفكك الأسرة.. وخوف الشباب من الزواج وإقبالهم على الزنى والشذوذ كبدائل أسهل.

وتذكرت الاسلام وشريعته المحكمة وكيف جعل الزواج سهلا ميسرا والطلاق ممكنا عند استحالة العشرة دون تعجيز.. وتذكرت التحريم المطلق للزنى فى الشريعة الاسلامية، والتحريم المطلق والتقبيح الشديد للشذوذ الجنسى، ووصف من يأتى ذلك بأنه لا يبصر ولا يعقل وأنه يقارف من الفحش ما لم يأت أحد من العالمين.. وأن الذين فعلوا ذلك.. وهم قوم لوط فى الماضى وأهل سدوم وعمورة كان مصيرهم أن أمطرتهم السماء نارا وحجارة وأهلكتهم أجمعين.

ونقرأ اليوم عن أمراض جديدة مستعصية وقاتلة تصيب مدمنى الشذوذ الجنسى خاصة وتقضى عليهم.. ولا يعرف العلم لها تشخيصا ولا سببا.

كم تبدو الشريعة الاسلامية الهادية وثيقة حب ورحمة وطوق نجاة وكلمة رشد فى هذا البحر الطام من الفوضى. فما حرم الله فى الاسلام

إلا الخبيث وما أحل إلا الطيب وما أقام شريعته تحكما بل حبا وعطفا وحدبا وحنانا.

ومفكر مثل جارودى كان طبيعيا أن يقوده إخلاصه إلى ذلك.

ولكنا فى حاجة إلى كتيبة من الدعاة تتقن اللغات وتفهم مشاكل العصر لتخاطب هذا الشباب فى جميع أركان الأرض.

ومسئولية البلاد الاسلامية الغنية أن تكون لها مكاتب ومجلات ودور نشر باللغة الانجليزية وقنوات دعاية فى التليفزيون لتصل إلى هؤلاء الشباب فى غرف نومهم، إن القرآن نزل للناس كافة.. وجاء للعالمين.. ولم ينزل لقريش وحدها وقد بلغ النبى الكريم عليه الصلاة والسلام ما أعانه عليه عمره، وعلينا نحن أن نحمل الراية لا لنغزوا.. بل لنبلغ الكلمة.. كلمة لا إله إلا الله.. وكلمة الشريعة.. وناموس الحق.

ولكنا بدل هذا نفعل العكس. نقلد هذا الشباب ونتخذ من انحرافاته مثالا وقدوة ويظهر بيننا من يحاول أن يغير قانون الأحوال الشخصية ويكتبه بروح جديدة تكون أكثر إنصافا للمرأة.. وكأنما تصور أن سيكون أكثر عدلا وإنصافا من الله الذى خلقنا نساء ورجالا ويعرف ما يصلحنا وما يصلح لنا.

وهكذا نخسر هويتنا ونظلم تراثنا وحضارتنا ونختار مكان الذيل فى طابور الانحلال الطويل السائر إلى الانقراض.

ومن حسن الحظ أن أمثال هؤلاء الشباب مازالوا قلة.. ومازالت الأغلبية بخير وفطرتها بخير ومازال القبيح مستقبحا والحسن

مستحسنا.. لم تشع الفاحشة بعد ولم تصبح عرفا يحميه القانون.. بـــل جريمة يختلسها أصحابها من وراء الجدران ومازالت راية الحق مرفوعة فى بحر الفوضى الطام الذى يكاد يطبق علينا من كل جانب.

نكون.. أو لا نكون

آخر ما سمعنا من أعاجيب هذا العصر هو ما جاءت به الأخبار عن مساومات تجرى بين أطراف عربية ثمنا لمواقف مع الحرب أو مع السلام.. سوريا تتجه للسعودية لتطلب ثمنا لانسحابها من لبنان ٤ مليارات من الدولارات... ومن قبل ذلك العراق يقبض من السعودية ثمنا لحربه مع إيران.. ومن بعد ذلك إيران تطلب كذا مليارا ثمنا لتوقيع الهدنة مع العراق.. وأطراف فلسطينية تقبض من ليبيا لتلقى قنبلة هنا أو لتفجر عربة ملغومة هناك على أطراف إسرائيل..

وأطراف فلسطينية أخرى تقبض لتقتل فلسطينيين إخوة لها فى النضال.

وكانت هذه الأشياء تحدث فى الماضى ولكن الذى كان يطلب كان يطلب فى استحياء وتستر، والذى كان يعطى كان يمن ويستكثر، أما اليوم فالذى يطلب يمد يده فى تبجح وعلانية والذى يعطى نراه يقدم الاتاوة ويشكر آخذها.. لأنهم يقولون اليوم إن الكل مستفيد.. الذى

يأخذ والذى يعطى كلاهما محتاج إلى الآخر ومستفيد من الآخر وإن ما يدفع من أموال إنما هى أثمان زهيدة وتأمينات وأقساط ضمان لتظل الحال كما هى عليه ويظل الجميع فى أماكنهم.

وإسرائيل على الطرف الآخر تساوم ولكن مساومات من نوع مختلف، فالثمن الذى تطلبه هو دائما مزيد من الأرض ومزيد من السلاح المتطور ولا تدفع فى مقابل ذلك إلا وعودا على ورق أو تصريحات فى الهواء.

والسبب فى اختلاف استراتيجية الدفع والقبض على الناحيتين هو فارق بسيط.. أن كل العرب ينادون بالحرب ولا يريدون إلا السلام وإسرائيل تنادى بالسلام ولا تفكر إلا فى الحرب.

وكل طرف يكذب على طريقته ولكن الذى لا يعلمه الأخوة العرب والذى يفوتهم جميعا.. أن أى أقساط مالية مهما بلغت من المليارات لن تضمن لأحدهم البقاء فى مكانه.. وأن أيا منهم لن يستطيع أن صادر على المستقبل بوديعة فى بنك أو شيك مضمون الدفع.. لأن الأحداث تعقدت وتشابكت وعجلة التاريخ أفلتت.. وبين طرفة عين وانتباهتها قد تنقلب المائدة على الجميع فيفتحوا أعينهم ذات صباح قريب ليجدوا أن الخريطة الجغرافية للمنطقة قد تغيرت، وأنه لم يعد لهم مكان فى حاضر ولا فى مستقبل.

وذلك أنه قد فاتهم منذ البداية.. أن هناك أشياء لاتباع ولا تشترى بالمال.. ومن هذه الأشياء.. الأمن.. فالأمن لايباع

ولا يشترى ولكن يؤخذ غلابا بالقوة والهيبة.. هكذا علمتنا حوادث التاريخ وروايات الأمم وقصص الممالك.

وفى الماضى القريب كان هناك إمبراطور فى جيبه سبعة آلاف مليون دولار هو الراحل شاه إيران.. ولم يستطع الشاه بكل ما فى جيبه أن يشترى لحظة أمن ولا أن يجد شقة يسكنها.. وظل يرتجف من الخوف والهلع حتى لفظ أنفاسه.. فهل تعلمنا..؟

والواضح أنه لا أحد تعلم.

وإننا مازلنا نحاول أن نشترى المواقف بالمال.. ونشترى الأمن بالمال.. ونشترى المستقبل بالمال.

وإن استمرت بنا هذه الغفلة.. فإن الدور علينا يا إخوة بعد الشاه الراحل.. أقول هذا الكلام وأنا مشفق.. فإن النكبات حينما تأتى لا تأتى فرادى.. وهى تأخذ الكل جناة وأبرياء ولا تستثنى أحدا

(واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)

صدق الله العظيم

إن فتنة الخومينى لم تصب الشاه وحده وإنما أصابت عائلته ووزراءه وحزبه وجيشه وأصدقاءه والمتعاطفين معه . ثم أصابت اليسار الايرانى وضربت مجاهدى خلق وحزب توده.. ثم أصابت المعتدلين ثم امتد شرها حتى أصاب رجال الخومينى أنفسهم، ثم عبرت الحدود إلى العراق، ثم أيقظت الفتن النائمة فى البحرين والكويت والسعودية ووصلت إلى رحاب الكعبة وانطلق الرصاص من

المآذن التى طالما تجاوبت بأحلى الكلمات.. والقصة مازالت مستمرة ولم تتم فصولا.. والعرب فى أقصى حالات التمزق والشتات، وإسرائيل فى أقصى حالات الصلف والاستعلاء وغول الخلافات يفرق الكل شيعا وطوائف تضرب بعضها.. والوقت يضيع فى جدل فارغ.. فى حين تصنع إسرائيل قنبلتها الذرية فى هدوء.

وفى هذا البلاء لن يستطيع المال أن يشترى أمنا ولا سلاما ولن يضمن المال لأحد مكانه.

إن الأرض تهتز من تحت أقدامنا وغدا يفور التنور.. فلنجتمع كما يجتمع الرجال ساعة الخطب الجلل.. ولنتفق على كلمة..

إننا فى ظروف الانقسام الحالى لا نملك إلا التفاوض من أجل السلام.. هذه حقيقة.. ولكنها حقيقة مرحلية فقط، فالسلام لن يكون أكثر من هدنة بأجل.. إنه ليس حلا.. وإنما هو مجرد تأجيل وتسويف للحل.

ثم تعود المشكلة فتطرح نفسها بعدوان جديد.

ثم يأتى اليوم الذى لا ينفع فيه تأجيل ولا تسويف.. حينما يقترب الحبل من رقابنا جميعا ونجد أنفسنا بين خيار أن نكون أو لا نكون ولا خيار ثالث.

إن إسرائيل التى أخذت قضمة كبيرة من الرغيف قد ازدادت سعارا وأصبحت تتلمظ على التهام الرغيف كله.

إسرائيل اليوم تعتدى فى تبجح وتغزو فى استهتار وهى قد حــولت لبنان إلى سجون ومعتقلات وحاصرت القرى وأحرقت محاصيل القمح وقطعت الماء والكهرباء والتموين عن الفلاحين لا تسمح لأحد بشربة ماء إلا بإذن.. وذكريات ما صنعته فى صبرا وشاتيلا مازالت ماثلة فى الأذهان.

إننا نواجه اليوم إسرائيل جديدة. إننا نــواجه روح اســتعلاء لن تتوقف عند حد.

لقد كان رعب إسرائيل الأول هو الفلســطينيين.. والفلســطينيون اليوم يقتل بعضهم بعضا وروسيا عن طــريق ليبيــا تشــجع هــذا الاستخدام الحميد للأسلحة الروسية فى استنزاف دمنا إلــى آخــر قطرة.

لقد سقط جدار الرعب وانشغل الفلسطينى بــالفلسطينى وانفتــح الطريق أمام إسرائيل إلى العواصم العربية، وإذا كانــت مفــاوضات السلام اليوم هى الحل الوحيد فى ظروف انقســام وشــتات عــربى لا يسمح بغير ذلك.. فإن الاستراتيجية العربية للمدى الطويل يجــب أن تكون مختلفة.. فالحرب سوف تسعى إلينا حتى لو أجمعنا علــى تجنبها..

إن شكلنا الممزق المهلهل يغرى على الافتراس.. كما يغرى منظر الحملان الشاردة على عدوان الذئاب.. وإسرائيل لن تضيع الفرصة.

ونحن على شفا جرف.

إما أن ننجو وإما أن نهلك.

وإذا كانت لنا فرصة وحيدة فباجتماعنا عصبة واحدة وكلمة واحدة.

فذلك سلاحنا التاريخى المجرب الذى انتصرنا به على التتار والصليبيين من قبل.. وهو لم يخذلنا قط.

والدهاء والتخطيط يغلب السلاح أحيانا والايمان له فعله الساحر الذى يغلب فعل التكنولوجيا.. والحق أقوى من الذرة.

ونحن كثرة وهم فى إسرائيل قلة ونحن على الحق وهم على الباطل ونحن معنا الله وهم معهم أمريكا.

فلماذا نخذل أنفسنا بأنفسنا ولماذا نضرب أعناقنا بأيدينا ولماذا نترك حرب المبادئ تتحول إلى حرب أشخاص وإلى تنازع رياسات وتنازع مناصب وتنازع غرور.

وإلى متى..

إلى أن يفقد كل صاحب رياسة رياسته، وكل صاحب منصب منصبه، وكل صاحب أرض أرضه..

فمتى نصحو..

إن السلام دبلوماسية مرحلة واستراتيجية ظرف لا أكثر، فلنفهمه فى حدوده ولا نجعل منه أنشودة خلاص، فإن الخصم لا يريد لنا خلاصا بل هو يصافح بيد واليد الأخرى على الخنجر، فلنعامله

بأسلوبه ونصافحه بيد واليد الأخرى على الزناد.

وليس لنا غير هذا الاختيار إذا كان الله فى لوحه المحفوظ قد أراد لنا ذات الشوكة.

(وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) فلا أقل من أن نعد ونستعد.

وبداية العدة أن نجتمع صفا ونتوحد يدا.

فلنجتمع عليهم قبل أن يجتمعوا علينا ولنطرح أنانيتنا وكبرياءنا وأهواءنا وخلافاتنا.. قبل أن يطرحنا الله مثل الغثاء الذى لاخير فيه ويستخلف أقواما غيرنا.. ثم لايكونوا أمثالنا.

واقرءوا تواريخ الأمم لتروا كيف يهلك الله أقواما بعد أقوام ثم يستبدل غيرهم ولا يبالى..

هل يريدونها صليبية؟

منذ أن بدأت الحرب اللبنانية من سنوات وهناك أصابع خفية تدفعها لتجعلها تبدو حربا صليبية بين المسيحى والمسلم.. ولكن الذين أرادوا لها هذا التلخيص الساذج، والذين أرادوا أن يعطوها هذه الصبغة الظاهرية.. لم يطاوعهم الواقع ولم تسعفهم الحوادث.. برغم ما افتعلوا من قتل وذبح على الهوية وبرغم مارسموا من صلبان بالدم على ظهور الضحايا.. فقد استعصت الحرب اللبنانية على هذا التفسير السطحى فالكتائب قاتلت الموارنة وكلاهما مسيحى.. ولم يكن الذين ذبحوا طونى فرنجية مسلمين بل كانوا مسيحيين، كما اقتتل الدروز والشيعة والسنة وكلهم مسلمون.. بل إن المسلم الشيعى من حزب أمل قتل المسلم الشيعى اللبنانى وكلاهما مسلم ومن نفس الطائفة الشيعية.. بل إن القناصة الذين كانوا يصطادون ببنادقهم أى شبح يتحرك فى مجال البصر كانوا يقتلون هذا الشبح دون أن يعرفوا دينه أو انتماءه ودون أن يروا منه إلا ظهره وكان الأخ يقتل أخاه والأب يقتل ابنه دون أن يدرى.

إن ما حدث على الساحة اللبنانية لم يكن ظاهرة دينية ولكن ظاهرة انحلالية مادية.. ظاهرة تفسخ انفرط فيها شمل أمة إلى أفراد متنابذين يكاد كل فرد منهم يكون دولة مستقلة لها انتماؤها المختلف.. مجرد أفراد لا يجمعهم ولاء ولا يربطهم رابط.

وقد تعددت انتماءات هؤلاء الأفراد بعدد الدول العربية وبعدد دول المعسكر الشرقى ودول المعسكر الغربى وبعدد كل ما نعرف من ملل ونحل وأحزاب، فهناك عملاء لروسيا وعملاء لأمريكا وعملاء لليبيا وعملاء لسوريا وعملاء للعراق وعملاء للجزائر.. وقد سمحت الأغلبية الغالبة منهم لأن تؤجر لهذا أو لذاك واختفت القيم ولم تبق إلا قيمة الليرة.. وكانت هذه هى الثغرة التى تسلل منها الكل والتى دخلت منها الفتن وجيوش الاحتلال وكانت الثغرة التى ظلت تتسع حتى أتت على هيكل البنيان اللبنانى بطوائفه وأحزابه، ثم أتت على البلد من القواعد لأن كل واحد باع نفسه لشيطان ولم تجد الأرض الأم من يحتضنها ومن يبكى عليها.

لم تكن الحرب اللبنانية فى أى يوم من أيامها حربا دينية أو صراعا عقائديا.. وإنما كانت على العكس تماما ظاهرة لا دينية وفتنة لا عقائدية.. وكانت الأصابع التى أشعلت الفتيل تحاول أن تفتعل بداية دينية لتشحن النفوس بالثأر وتملأ الصدور بالغل ولتسرع من عجلة تداعى الحوادث.. اختارت لافتة تثير التعصب وتؤجج الخلافات لتزرع الانقسام من البداية.

والأصابع الخفية التى فعلت هذا.. هى نفس الأصابع الخفية التى

ترفع الآن سماعة التليفون بعد التفجير الدموى فى بيروت لتدعى أن المسئول عن نسف مقر القيادة الأمريكية والفرنسية فى بيروت هى منظمة الجهاد الاسلامى.. ثم يدق التليفون مرة أخرى ليقول المتكلم إن المسئول هى حركة الثورة الاسلامية الحرة..

ولاحظ أيها القارئ اللبيب كيف تدفع هذه لأصابع الخفية اتجاه الحوادث إلى ناحية الاسلام فى عمد وإصرار.. وتخلق أسماء منظمات إسلامية لم نسمع بها من قبل.. لتزرع الفتنة هذه المرة على اتساع رقعة العالم وتستقطب عدوان ألف مليون مسيحى على ألف مليون مسلم وتجر دولا كبرى ونووية إلى قلب الصراع الذى يخطط له أن يكون صليبيا.. والذى خطط له الماكرون من البداية أن يكون صليبيا.

من صاحب المصلحة فى أن يفعل هذا؟.. ومن المستفيد من إيقاع المسيحى والمسلم فى هذه المذبحة ليتخلص من المسيحية والاسلام بضربة واحدة.. سوى شيوعية لا دينية أو إسرائيل صهيونية أو عميل يجرى فى فلك أى من الأثنين.. وربما كان الاثنان وجهين لعملة واحدة..

لقد وقعت أوربا المسيحية ومثلها إنجلترا وأمريكا فى الشرك الصهيونى وتعاطفت مع إسرائيل بالمال والسلاح والتأييد السياسى.. وأصدر بابا الفاتيكان المسيحى وثيقة يبرئ فيها اليهود من دم المسيح.. اليهود الذين تقول كتبهم إن المسيح دجال وإن مريم حملت به سفاحا.. كان هذا تاريخ أوربا المسيحية مع اليهود.

وكان أولى بأوربا المسيحية وإنجلترا وأمريكا والفاتيكان وبابا روما

أن يضعوا أيديهم فى يد الاسلام الذى يبرئ مريم العذراء البتول والذى يقول عن المسيح إنه كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه.. كان ذلك أولى بهم وهم أهل مودة وبيننا وبينهم رحم.. ولكن الصهيونية نجحت فى بذر الكراهية للاسلام فى القلوب بالكتب والنشرات والدعايات الكاذبة وانخدعت أوربا.. كما خدعها اليهود من قبل وجروها إلى الحرب الصليبية الماضية. وساقوها مدججة بالسلاح إلى بيت المقدس.

وهاهم أولاء يعاودون الكرة ويخططون لحرب صليبية ثانية..

ويريدونها هذه المرة حربا ذرية نووية لا تبقى ولا تذر ويجرون دولا كبرى إلى مصارعها.

ألا نرى إسرائيل تساند إيران بالسلاح ليتسع الخرق أكثر وأكثر وليستنزف المال العربى والطاقة العربية والبترول العربى.

ألا نراهم وراء تفتيت لبنان إلى دويلات صغيرة من الشيعة والدروز والموارنة.

- ألا نراهم يخططون لتفتيت مصر إلى دويلة إسلامية ودويلة قبطية. ألا يفطن الكبار أمثال ريجان وميتران وغيرهما لما يراد بهم ولما يحفره الصغار الماكرون تحت أقدامهم.. أم أن التاريخ سوف يعيد نفسه دون أن يأخذ أحد العبرة ويفهم الدرس.

إن إسرائيل تدرك أنها لن تستطيع أن تعيش فى الجسم العربى إلا إذا كان هذا الجسم مريضا منهكا مفككا فاقد المقاومة فاقد الوعى.. وأنها لا حياة لها إذا استرد هذا الجسم صحته.

إذن لتظل نار الفتن مشتعلة.

ولتظل المعارك فى كل مكان وإذا بدأت النار تخبو فلابد مـن النفـخ فيها.

وإذا هدأت تلقى فيها بالمفجرات.

إن السلام والاستقرار معناهما نهاية إسرائيل فلتشتعل المعارك ليس فى العالم العربى وحده بل فى العالم كله على اتسـاع الـكرة الأرضـية وليتخبط فى الحروب ولا يفيق من أزمة حتى يقع فى أزمة.

والصهيونية وفى يدها مفاتيح بورصة الدولار والاسترلينى والفـرنك والمارك.. وفى يدها دور النشر وأجهزة الاعلام وبيوت المـوضة وبيـوت الانتاج السينمائى هم خير من يستطيع أن يصنع الأزمات ويثير الحروب وينشر الفتن ويغوى الشباب بمتاهات الفن المضل.. ووصايا التلمـود فى كتبهم تأمرهم بهذا.. أن يتخذوا من العالم كله دابتهم وركوبتهم.. فهـم الجنس المختار الذى قدر له أن يقود العالم كله وهم يـكيدون كيـدا.. وهذا دأبهم فى طول التاريخ ومازالوا يكيدون كيدا ويمكرون الليل والنهار لا يفترون، فهل يصحو العالم ويفيق ويدرك المكيدة؟.

الحضارة على طريق الانتحار

روجيه جارودى واحد من ثلاثة من أكبر شراح الماركسية «وطليعة الفكر الشيوعى فى أوربا» وعلم من أعلام الفلسفة فى فرنسا، ومكافح حمل القلم والبندقية فى وجه الظلم طوال حياته..

هذا الفارس المقاتل والملاح الذى طوف البحار السبعة قد ألقى مراسيه على شاطئ الاسلام ورفع راية لا إله إلا الله.

قصة عبور من نوع فريد..

ولنستمع إلى الرجل يروى القصة:

كانت بداية الصحوة ذلك البيان السرى الذى ألقاه خروشوف عن ستالين سنة ١٩٥٦ ذلك البيان الذى هتك الستر عن الارهاب والقمع والدم والاعدام والتعذيب والديكتاتورية البشعة التى مارسها ستالين ومن ورائه الحزب الشيوعى.

ثم كان غزو روسيا للمجر بالدبابات.

ثم اجتياح الجيش السوفيتى لتشيكوسلوفاكيا.

ثم إرغام الحزب الشيوعى التشيكلوسلوفاكى على التخلى عن اعتراضاته عام ١٩٦٩.

ثم غزو أفغانستان وإخضاع شعبها المسلم بالحديد والنار والغازات السامة.

ويعلق جارودى بمرارة ساخرة.

هؤلاء الثوريون المزيفون الذين حاولوا تغيير كل شىء ما عدا أنفسهم.

وهكذا انتهت علاقة جارودى بالشيوعية السوفيتية كما انتهت علاقته من قبل بالرأسمالية الأمريكية.

وكتب عن الحضارة التى تنتحر.. تلك الحضارة المادية التى خلعت الله عن عرشه وأقامت الانسان مكانه وجعلت من الانسان إلها وسيدا على الكون والطبيعة.. وكيف دمر الانسان الطبيعة.. ولوثها بفضلاته.. وهو الآن يوشك أن يدمر نفسه. وفى تحليل دقيق حاول أن يضع يده على ثغرات هذه الحضارة.

إن النموذج السوفيتى والنموذج الأمريكى كلاهما وجهان لعملة واحدة وحضارة مادية واحدة تقدس الفرد.. وهذا التقديس أدى إلى ظهور أباطرة رأس المال والاحتكار فى أمريكا وفى الناحية الأخرى أدى

إلى النظم الشمولية والدكتاتوريات التى أصبح الفرد فيها طاغية يبتلع المجتمع كله فى داخله.. وهو وإن كان يحكم باسم الحزب أو باسم الأيديولوجية فإن الظلم واحد فى النهاية وإن اختلفت أسماؤه.

والعلاقات الاجتماعية فى هذا اللون من الحضارة المادية واحدة وهى علاقات عمودية التسلسل من الاستعباد والسخرة فى المجتمعات الشيوعية أو علاقات أفقية من المنافسة والصراع فى المجتمعات الرأسمالية ولذا كان طابع الحياة فى الاثنين هو العنف وتصادم المصالح وإرادة الهيمنة والقوة.

والاقتصاد فى هذه الحضارة المادية لا يهدف إلى نمو صحى بل يخدم نوعا من النمو الوحشى هدفه مجرد تشغيل الآلة حتى ولو كانت تنتج أشياء مدمرة.. وهكذا انتهى هذا النمو الوحشى إلى إنتاج القنابل الذرية والصواريخ ذوات الرءوس النووية وإلى ٦٥٠ ألف مليون دولار سلاح مقابل ٥٠ مليونا يموتون جوعا.. وهواء ومياه وزراعات وأرض ملوثة بالمخلفات الاشعاعية.

كيف يمكن أن نسمى هذا اللون من الحياة تقدما؟

وقد أشعلت هذه الدول «المتقدمة» الحروب الصغيرة فى العالم الثالث وحاصرته بالمؤامرات لتجعل منه سوق سلاح تبيع فيها فوائض إنتاجها وتجرب فيه أسلحتها الجديدة وتستنفد الثروات القومية لشعوب تعيش تحت مستوى الفقر وخلقت نوعا من الاعلان والبروباجندا والدعاية بالتليفزيون والسينما والصحف والملصقات وسلطته على الجماهير

لترويج وتزيين منتجات لا تنفع وأحيانا تضر واستخدمت خداع الألـوان وبريق الفن وأساليب الايحاء لاستدراج الناس إلـى هـذه الفـاترينة الخادعة من البضائع الاستهلاكية وإلى حياة فارغة من التبذير السـفيه بهدف اختلاق حاجات ثم إشباعها.. وكمثال.. عدد الأحد من النيويورك تايمز وهو ٩٠٪ إعلانات يستهلك من الورق ما يكفى لطبع جميع الـكتب المدرسية التى تحتاج إليها الكاميرون فى عام كامل.

وكل هذه الطاقة تذهب سدى فى سبيل ترويج ما ينفع وما لا ينفع.

ويحكم نظام التسويق قمة من رءوس الأموال والاحتكارات والبنوك فى أمريكا.. أو استبداد بيروقراطى أعمى فى روسيا.. فى حين يعيش العامل فى كلا النظامين فى اغتراب دون هدف أو معنى كما الحيـوان كل همـه إشباع حاجاته.. ويعيش الكل مجرد كائنات هامشية خـاضعة لضرورات ومصادفات خارجية.. وتبدو الأحداث وكأنما هى ثمرة قـوى وفـاعليات عمياء متجابهة وتبدو الحياة مجرد عبث ولا معقول وقلق وغثيان.

أما الثقافة والفكر والفن والبرامج التعليمية فهى مجنـدة مسـخرة لاعادة ترويج وتصنيع وطبع نسخ أخرى من هذه المجتمعات الفاسدة.

والمساعدات المزعومة للعالم الثالث لا تسـاعد بـل تجـر هـذه المجتمعات وتقيدها إلى نفس العربة وإلى ذات النمط الآلى الاستهلاكى ولذات النمو الوحشى بلا هدف والنتيجة أننا أمام نموذجين.. النمـوذج الأمريكى والنموذج السوفيتى.. وكلاهما فاشل .. وكلاهما يجـر عـربة الحضارة على طريق الانتحار الكونى والثورات على هـذه النمـاذج فى

بلادها غير ممكنة.. فقد درجت هذه النظم على أن تحمى نفسها بأجهزة بوليسية محكمة من التجسس والتخابر.

ويمضى جارودى إلى التحليل الأعمق لأسباب فساد هذه النظم فيقول هو الفصل بين العلم والحكمة وبين الوسيلة والغاية.

فالعلم فى هذه الحضارة هو علم للعلم وفن للفن وحياة لمجرد الحياة بلا معنى أو حكمة وكل حادثة تفسر بالقياس إلى المفاهيم السائدة بعد تفريغها من معانى الجمال والحب والايمان.

والفرد محور كل شىء وإشباع الحاجات هو الهدف ثم العودة إلى إشعال الشهوات لخلق حاجات جديدة تطلب الاشباع من جديد.

والاعجاب بالنفس وبالتقدم الكمى وإهمال وانكار التسامى والارتفاع بالنفس عن هذه الخسائس هو محور تفكير الأفراد والجماعات.

وتدعى هذه النظم ميراثا مزدوجا للحضارة الاغريقية والرومانية وللحضارة اليهودية والمسيحية وتتناسى أثر الاسلام تماما ولا ترى فى الاسلام إلا أنه مجرد مترجم وناقل للحضارة اليونانية أو مجرد بدعة ترمى المسيحية بالتحريف والشرك أو مجرد أثار فكرية بائدة هى فى مجموعها عقبة وليست حافزا للتقدم وتدعى أن الاسلام فاقد للحياة ولا يستطيع أن يقدم شيئا أو يعد بشئ..

ويرد جارودى على هذه التهم قائلا : غير صحيح أن الحضارة الاسلامية وقفت عند النقل عن اليونان دون عطاء.. بدليل الاختلافات الجوهرية بين نتاج الحضارتين.. فالرياضيات اليونانية وقفت عند

المتناهى على حين اعتمدت الرياضيات العربية على فكرة اللامتناهى كما أن أداة المعرفة عند اليونان كانت علم المنطق فى حين كانت عند العرب هى العلم التجريبى

كما نرى الفن المعمارى اليونانى سكونيا يعتمد على الخط المستقيم ونرى المسجد على العكس من ذلك سيمفونية أقواس ومنحنيات وقباب، وكانت فلسفة اليونان فلسفة معرفة وعند العرب فلسفة عمل وفعل.. ولم يكن للحتمية المأسوية اليونانية وجود فى المنظور الاسلامى المنفتح على المستقبل التواق للتغيير

وكانت النظرة الاسلامية نظرة جامعة بين العلم والحكمة (اقرأ باسم ربك) والمسلم ينظر إلى كل شئ على أنه آية فيها شواهد الحكمة والعناية والقدرة الالهية.. فى حين أن العلم فى الغرب مغلق على علموية وتكنوقراطية لا هدف لها سوى الكم والمزيد من الثراء والقوة والهيمنة.

ومما يؤيد هذا الكلام أن الحضارة الأوربية لم تبدأ من إيطاليا بل من أسبانيا من النموذج الاسلامى.. ولكنها للأسف لم تأخذ من هذا النموذج إلا العلم التجريبى والتكنولوجيا وأغفلت تماما القيم الالهية التى توجه هذه الحضارة إلى خير البشرية.

واليوم يعيد التاريخ نفسه فنرى الاسلام الذى بدأ فى مجابهة مع الفرس والروم نراه اليوم فى مجابهة مع روسيا وأمريكا.. وكما فعل فى الماضى.. نراه يقدم بمقابل هذا الفشل الحضارى تصورا راقيا للحياة - فالاسلام يعلمنا أنه فى ضوء الايمان بالله يبدو لكل شئ حكمة ولكل

حدث غاية خيرة وإن خفيت.. ويشعر كل إنسان أن لعذابه معنى وغاية، وأنه لا شيء يذهب سدى، وأن الحياة مشروع إلهى جميل، وأن لكل إنسان دورا منسجما مع الحركة الكونية الكلية.. وهو ما يعطى المؤمن إحساسا بالوحدة والانتماء والاستمرار، فالموت ليس نهاية القصة بل هو مجرد انتقال إلى حياة أخرى، والانسان مهاجر إلى الله دنيا وآخرة بلا توقف.. والله فى الاطلاق والسير فى الاطلاق هو ترق بلا نهاية.. وذلك هو منتهى الأمل.. وهدف المسلم ليس إشباع رغبته بل كبحها وقمعها وضبطها على قانون الحكمة الالهية.. والحرية ليست فى تسلطك على غيرك وليست فى تحصيلك لمزيد من اللذة لنفسك بل هى فى تحررك من نفسك وانقيادك لربك.. وبقدر عبوديتك لله بقدر انعتاقك من ربقة نفسك (فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة.. فك رقبة) وفى اقتحام هذه العقبة التى هى النفس يكون التحرير الحقيقى من سجن الضرورة.

ثم تتواتر الصلوات مع شروق وغروب الشمس والكواكب وبذلك يندرج الانسان فى النظام الكونى.. حتى حركات الصلاة نرى فيها محاكاة جميلة لما يجرى فى الطبيعة، فالمصلى يقف كما تقف الجبال ويركع وينحنى كما تنحنى الأغصان إلى الأرض ويسجد كما تسجد النجوم الغاربة لتلمس بجبهتها الأفق.. وكل المصلين نراهم يصطفون فى دوائر مركزها الكعبة ومع اختلاف التوقيت من مكان لمكان نرى فى كل لحظة جبينا يسجد وجبينا ينهض فى فيض متدفق من العبادة.. وكل شئ فى الكون مسلم لله قهرا منقاد لقوانينه بلا اختيار ما عدا الانسان الذى أسلم باختياره وتخطى الأسباب إلى مسببها ليصوغ حياته على المثال الاسمى... ذلك

العروج الذى يسمو بالانسان ويذكى جميع ملكاته، هو منحة الاسلام للمسلم، والانسان فى الاسلام خليفة لله فى الأرض لمواصلة الخلق والابداع والعمار وإفشاء السلام والمحبة والرحمة والخير.

والعلم فى الاسلام لا ينفصل عن الحكمة ولا عن الايمان ولا عن الهدف الخير، كما لا ينفصل الدين عن السياسة ولا الدين عن الاقتصاد.. بل الكل وحدة ناشطة إلى إرساء قانون الله فى الأرض.

والله هو المالك لكل شئ والانسان مستخلف يتصرف كأمين على خزائن سيده نحن هنا أمام حضارة مختلفة وإنسان مختلف.. هكذا يعلن جارودى.. فالحضارة الأوربية الأمريكية لا تعطينا إنسانا بل حيوانا تعملقت أعضاؤه فهو يمشى على القمر بأرجل صاروخية ويسمع بآذان رادارية ويرى بعيون إلكترونية، ويقتل بمخالب ذرية ولكنه حيوان مازال واقفا عند إشباع حاجاته ومازال واقفا عند نفسه وهواه ورغباته لم يتخطها.. وهو ديناصور على طريق الانتحار والانقراض.

أما الحضارة الاسلامية فتعطينا إنسانا تخطى حاجاته وتجاوز رغباته ثم بدأ يعلو على ذاته نفسها ثم بدأ يعلو على الزمن ليبنى المسجد ويخاطب الأزل ويناجى الأبد ويكسر قوقعة الحتميات وينعتق من ظلمة الغرائز

والمجتمع الاسلامى لا تجمعه العصبية ولا القبلية ولا العنصر ولا اللون ولا الأرض ولا القومية ولا الوحدة التاريخية ولا الوحدة الاقتصادية.. إنما القاسم المشترك الذى يجمع الكل هو الايمان بالله

وبالرسل وبالجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الله.. فهى جماعة ربانية يجمعهـا التسامى والرغبة فى تزكية النفس والعروج إلى الحضرة الربانية بـالعمل الصالح والتخلق بمكارم الأخلاق وإدمان الخير والبر والصلاح.

نحن أمام خط سير أخذ بيد الانسان إلى اللامتناهى.. على حيـن فى نمط الحضارة الغربى لا نجد المستقبل إلا امتـدادا كميـا للمـاضى ولا نجد الحياة إلا اكتفائية تسجن الانسان فى حدود أنانيته ومصـالحه ورغباته وحاجاته.. بهذا الوضوح المبهر وبهذا المستوى العـالى مـن الفهم يرى جارودى الاسلام من الشاطئ الآخر من البحر.. وهو يرى فيه طوق النجاة للعالم.. وهو يرى المسلمين قادرين على حمل هذا المشعل شريطة أن يفتحوا باب الاجتهاد الذى أغلق منذ قرون ويكسروا قـوقعة الجمود الحرفية السلفية إلى فهم حركى لكل المتغيرات التى جدت على الساحة.

ذلك هو جارودى..

حمزة الذى أقبل بسيفه من قلب القـاره الأوربيـة لنصرة الاسـلام والمسلمين..

مصر.. المشكلة والحل

كنا جماعة نتحدث، وتطرق بنا الحديث إلى كل شىء.. تحدثنا فى الدين وفى السياسة وفى الفضاء وفى الأرواح وفى الجن وفى السحر وفى الطب وطوفنا بكل الألغاز والمعضلات ثم استقر بنا الترحال عند المعضلة الكبرى التى دوخت المصلحين وحيرت أهل الفتاوى.. مشكلة مصر وما جرى عليها وما جرى لها.

قالت أصوات رافضة.. هل تعجبك هذه المعارك الكلامية والعمارات التى تقع والزحام والغلاء وفساد الذمم وفتور الهمم والتلوث والضوضاء وانحدار الذوق وضياع القيم واللامبالاة والكسل والرشوة والتسيب.. هل هذه مصر التى عرفناها؟

قلت.. مصر ليست كلها سلبيات. ومازال فى بلدنا خير وحب وأمل وأيد تعمل فى إخلاص..

وفى مصر مدن جديدة برمتها أنشئت وصحارى جرداء استصلحت

وسدود أقيمت ومصانع بنيت، والأرقام تقول إن هناك أكثـر مـن ألف مشروع جديد منها خمسمائة وخمسون مشروعا بدأت نشـاطها بـالفعل ولكن الآثار الايجابية لهذه الانجازات تلتهمها ملايين الأفواه التى تأكل دون أن تعمل.. الانفجار السكانى يهزم الخطة.

ـ هل هو اعتراف بأن السلبيات تفوق الايجابيات.

ـ مصر خارجة من خمس حروب ومائة ألف شهيد. ومائة ألف مليون جنيه خسائر وهى محل تآمر دول الشرق والغرب ومحل أطماع الأعـداء والأصدقاء يطعنها أبناؤها كما يطعن بعضهم بعضا وكأنما الـكل فقـد وعيه.. إن حربا واحدة جعلت إنجلترا وهى دولة كبـرى تتـراجع إلـى مؤخرة الصف.. ونحن بلد ه غير محدود الموارد.. نحن فى حاجة إلـى وقفة حب وتفهم يا إخوان وليس إلى وقفة تمرد وسخط.

ـ ونحن نسأل بكل الحب والتفهم ما الحل..

واختلفنا وتشابكنا وارتفعت أيد وجاء كل واحد برأى.

كان من الواضح أننا أمام مشكلة أصعب من الجن والأرواح والصعود إلى الفضاء.. قال قائل: الحكم الاسلامى هو الحل.

واعترض أحدهم قائلا: لقد نادى بذلك جماعة التكفير والهجرة وقتلوا الشيخ الذهبى ونادى بذلك جماعة الفنية العسكرية وأطلقوا الـرصاص على الأبرياء.. ونادى بذلك المهدى وجماعته وطلعوا بالمدافع الـرشاشة على الكعبة وقتلوا من قتلوا بلا ذنب وبلا جريرة.. ونادى بذلك الخومينى

وقاد حكما دمويا فاشيا فى إيران.. فأى هذه الدعوات هى الحل لما نحن فيه.

إن أمريكا وروسيا أصبحتا تشجعان هذه التيارات المتطرفة وتحضان عليها لتلقيا بالمنطقة إلى حالة من الفوضى والخراب والتناحر وإلى حالة من التبعية المستمرة ولتبيعا السلاح إلى جميع الأطراف.

قال آخر.. ليست هذه النماذج هى الحكم الاسلامى الذى نـريده.. إنما نريد الحكم الأسلامى الرشيد.

قال صاحبنا.. كل واحد من هؤلاء الذين اعترضت عليهم يدعى أنـه هو الرشيد ومازال الخومينى يدعى أنه على الحق وأن كل من خـالفوه على ضلال.

قال ثالث.. بل نبدأ من البداية.. فيحقق كل منا الحكم الاســلامى فى نفسه وفى سلوكه وعمله وخلقه وبيته وأهله وأصدقائه وجيرانه.. فـالثورة المطلوبة ليست هى الانقلاب العسكرى ولا هى الجماعة التى تطلع على الناس بالعنف.. وإنما الثورة المطلوبة هى ثورة كل منا على نفسه ليفتح صفحة جديدة يراقب فيها ضميره ويراعى ربه. ثم تأتى بعد ذلك مرحلة التحول الاجتماعى مصداقا لقول القرآن (إن الله لا يغير ما بقوم حتـى يغيروا ما بأنفسهم).. فتغيير الأنفس يأتى أولا.

قلت: هذا والله كلام حسن.. ولكن مالبث أن قـاطعنا صـوت حـاد يهتف.. لا فائدة من إصلاح النفس ما دام الشارع كافـرا والمجتمـع ضالا.

قلت مستنكرا.. كيف يقال هذا الكلام عـن قـاهرة الأزهـر.. ليس الشارع بكافر. وإنما هى انحرافات على الأكثر.. وحتى على فرض صدق كلامك.. فإن المسلم يستطيع أن يعبد الله ويفعل الخير ويلـزم الجـادة حتى بين كثرة كافرة.. وهل كان محمد عليه الصلاة والسلام وصـحبه إلا قلة من عشرات فى بحر طام من الكفر فى قريش وهل زادتهـم هـذه الكثرة الا تثبيتا.. فما بالك ونحن قاهرة الألف مسجد وفى مناخ يشـجع على الدين وتتجاوب فيه أصداء لا إله إلا الله محمد رسول الله من ألف مئذنة.

قال.. والطبل والزمر والرقص فى التليفزيون

قلت.. تستطيع أن تغلقه وتفتح قناة أخرى فيها الشيخ الشعراوى

أو تترك التليفزيون وتستمع إلى إذاعة القرآن الكريم أو تذهب إلـى المسجد وتحضر درسا دينيا أو تشارك فى ندوة علمية أو تغلق عليك بابك وتصلى.. عندك عشرات الاختيارات وستجد فى كل منها ما يشجع نواياك الخيرة.. هذا إذا كانت عندك هذه النوايا..

والبدء بالنفس هو الطريق.. لن تستطيع أن تحكم غيرك إلا إذا حكمت نفسك أولا.. ولن تقوى على تغيير أمة وأنت عاجز عن تغيير نفسك.. قـد يطول المشوار ولكنه السبيل الوحيد.. وهو الكفيل بتربية الجيل المسلم الذى سوف يخرج منه الطلائع التى سوف تقود حينما يجىء الوقت

قالت امرأة: ولماذا الاصرار على الحكم الاسلامى كحل.. إن اليابان خرجت من الخراب والدمار الكامل والهزيمة وبلغت الصـدارة فى بضـع

سنوات، ووصلت إلى أعلى معدلات الرخاء والانتاج بدون حكم إسلامي.. وكذلك ألمانيا.

قلت لها: تجربة اليابان كشفت عن حقيقة مؤكدة.. إن العمل عند هؤلاء الناس دين.. العمل والنظام وطاعة الصغير للكبير وحب الأرض والولاء للوطن.. كل هذه شعائر دينية عند الياباني يمارسها بإخلاص وتفان.. وفي ألمانيا حب العلم وحب الاختراع خلق. والطاعة والنظام طباع مثل طباع مجتمعات النمل.. أما نحن فنفتقر إلى هذه الصفات ونحاول أن نغرسها في الشباب عن طريق الاسلام لأن الاسلام يأمر بالنظام ويأمر بالنظافة ويأمر بطاعة الصغير للكبير فهو سيوفر علينا غرس هذه الطباع..

ثم إن الاسلام بإمكانه أن يستوعب النموذج الياباني والنموذج الألماني ثم يتخطى الاثنين ويتجاوزهما إلى عطاء أعظم وأرحب، فالتجربة اليابانية بكل نجاحها لا تمثل إلا الجانب المادي والعطاء المادي والحضارة المادية وهذه الحضارة تقف عند مجرد إشباع حاجات الانسان ولكنها لا تستطيع أن تتجاوزه فلا شيء عندها وراء الانسان ولا شيء وراء العالم.. إنما هي حياة تنتهي بموت صاحبها، ولا حكمة من أي شيء.. والتقدم مجرد تقدم كمي.. والمستقبل مجرد امتداد كمي للماضي.. والحياة اكتفائية تسجن الانسان في أنانيته ومصالحه ورغباته والانسان فيها حيوان برغم أن له مخالب ذرية وعيونا إلكترونية إلا أنه ما زال حيوانا واقفا عند نفسه.. أما الاسلام فحضارة تصعد بالانسان وتتخطى به عتبة نفسه لتخرج به إلى المطلق.. إلى

كمالات الله اللانهائية.. فالنفس فى الاسلام خالدة وهى فى كدح مستمر إلى الله.. وهى فى تكامل مستمر مرحلة بعد مرحلة.. والفرق كبير وهائل بين ما تعد به التجربة اليابانية وما تعد به العقيدة الاسلامية.. فتلك حضارة مادية مغلقة على نفسها وهذه حضارة مفتوحة على اللانهائية

قال واحد.. ولكن المؤسف أننا لا نحن وصلنا إلى عظمة اليابان ولا نحن بلغنا عظمة الاسلام.

قلت.. الذنب ليس ذنب الاسلام ولكن الذنب فيما نضيع من وقت فى الكلام والخلافات لقد جعلنا كل شىء محل خلاف حتى الاسلام اختلفنا فيه وعليه.. فحرم البعض الموسيقى والرسم وقالوا إن الصورة تعلق على الحائط كفر، والجندى الذى يقبل راية وطنه وثنى، والمسلم الذى يصلى الفروض الخمسة فى بيته ولا يصليها فى المسجد لا إسلام له، والحجاب لا يكفى ولا بد من النقاب، وتعاركنا على القشور وتركنا اللباب، وغالى البعض حتى حرم الخل وحرم زهور الزينة لأنها تقليد لصنعة الله، وحرم أكل دجاج الجمعية لأنه مذبوح فى بلاد الكفرة.. وخرج من سماحة الاسلام إلى أنواع من التزمت والتنطع السخيف.

.. ومطلوب بالدرجة الأولى وعى إسلامى مستنير يجمع الناس حول لب العقيدة ورؤية إسلامية رحبة تستوعب إيجابيات العصر وأدب فى الحوار يكسب الخصم قبل الصديق وحرب على الفرق الضالة التى تزيف الدين وتحرم كل شىء باسمه.

إن هذه التيارات التى تظهر هنا وهناك لتبث الفرقة وتثير الجدل هى

جزء من المؤامرة التى تحاول أن تمزق الراية الوحيدة الباقية التى يمكن أن تجمعنا.. وهى تيارات عميلة تعمل لحساب الخصـوم وإن تـكلمت باسمنا.. ومحاربتها واجب كل مفكر وكل حامل قلم.

قال صوت حاد متعجل.. المهم أن نخرج من هذه الحلقـة المفـرغة المكررة بحل عملى.. أنا عندى اقتراح عملى، فاتجهت إليه كل الأنـظار فقال:

الجيش.. لماذا لا يكون جيشنا كجيش إسرائيـل يحـارب فى أثنـاء الحرب ويبنى البلد ويعمرها فى أثناء السلام.. لمـاذا لا يتـولى الجيش مسئولية البناء كاملة فيرصف الطرقات ويبنى المدن السكنية وينشـئ المصانع ويقيم الكبارى ويصلح المرافق.. لماذا لا يتولى عبء المهـام التنفيذية كاملة.

فقال البعض.. هو بالفعل قد ساهم فى إصلاح التليفونات وفى مشروع البتروجاز، وأثبت سرعة وكفاءة.

قال.. فلماذا لا يأخذ على عاتقه بقية المهام.

قلت.. هى فكرة وجيهة على أى حال.

قال آخر.. عيبنا أننا نلقى بالمسئولية على غيرنا.. فلماذا لا يعمل كل منا فى مجاله.. أنا أومن أن مفتاح الاصلاح.. فى الحلول الذاتية. إننا لـو أضربنا عن أكل اللحم واعتمدنا على البدائل البـروتينية مثـل الجبـن والفول والعدس والبقول فإن سعر اللحـم سـوف ينخفض.. إن أوربـا وأمريكا استطاعت أن تضرب سعر البترول بحيلة مشابهة فلجـأت إلـى

تخزين الفوائض وبحثت عن منابع بديلة فنزل السعر من ٤٠ إلى ٢٥ دولارا.. المسألة عرض وطلب والحل فى أيدينا..فى أن تكون عندنا إرادة.

إننا نشكو من قذارة الشوارع فلماذا لا نشمر سواعدنا ونكنسها بأنفسنا.. ونشكو من الحفر والمطبات فلماذا لا تقوم الشركات الخاصة والسفارات بالانفاق على رصف الشوارع التى توجد فيها.

وفى أمريكا حينما يبنى الرأسمالى مصنعا يبنى إلى جواره مدرسة ومستشفى ومجمعا سكنيا وطريقا مرصوفا.. وفى مقابل هذه الخدمات تعفيه الدولة من الضرائب.. فلماذا لا يكون هذا دستورنا.

إن الشعب يجب أن يقوم بدوره.. والفرد فى موقعه يجب أن يسهم بدوره.. أما وضع كل شىء على عاتق الحكومة فهو سبب البلاء.

قال واحد. وماذا عن الزحام والضوضاء وفوضى المرور والتسيب والرشوه.

قال الآخر.. تطبيق نظام الثواب والعقاب فى صرامة وفورية وإعطاء حق رفت العامل المهمل لرئيس المؤسسة وإعدام تاجر المخدرات والسجن المؤبد للمسئول عن سقوط العمارات.. ووضع أموال اللصوص تحت الحراسة.

فعاد صاحبنا مردفا: والزحام.

قال الآخر.. إعلان القاهرة مدينة مغلقة.. وعدم السماح للمرور إلا بنصف العربات الأرقام الزوجية فى يوم والأرقام الفردية فى اليوم التالى. والخروج بالوزارات الجديدة إلى مدن جديدة وعواصم جديدة

للقضاء على مركزية القاهرة كبؤرة نشاط وحيدة تجذب الملايين.

قال أكثر الحضور فى صوت واحد.. هذه إجراءات تعسفية.

فقال صاحبنا فى هدوء: حينما تتراكم الأخطاء بالشكل المتفاقم الذى نراه فى بلدنا لا يبقى إلا الاجراءات التعسفية.

قلت وفى صوتى رجفة: هل هو افتاء بالدكتاتورية.

قال صاحبنا: الجدية شىء آخر غير الديكتاتورية.

قلت.. هو خيط رفيع بين هذه وتلك.. فما أسهل أن تنزلق الاجراءات التعسفية إلى مراكز قوى تحكم بالتفويض المطلق من حاكم متعسف مطلق.

قال صاحبنا.. ليس أمامنا إلا المجازفة بهذا الخيط الرفيع.

قلت فى إشفاق.. السير ببطء وأمان خير من القفز على المطبات والحفر.. فالتعجل والتعسف يمكن أن يلقى بنا إلى أخطاء أكثر ومشاكل أكثر.

وكنت مشفقا بحق فقد تكاثرت المشاكل وتفاقمت ولم يعد فى قدرة واحد أن يحلها منفردا.. ولم يبق إلا أن يتعاون الكل.. ولم تبق إلا بداية واحدة مأمونة هى صحوة كل مواطن وثورته على نفسه ومبادرته الذاتية المخلصة لاصلاح شىء، أى شىء، فى عمله وبيته وشارعه.. أى شىء ولو مجرد إماطة الأذى عن الطريق.

المهندس فى موقعه والطبيب فى عيادته والمدرس بين تلاميذه والأم

بين أولادها والعامل فى مصنعه.. لو حاسب كل منهم نفسه واستنهض همته ورعى ذمته وراقب ربه لاختلفت الصورة ولتغير وجه مصر.

إن الثورة على النفس مفتاح وحيد ولا مفتاح سواه.. ولن يغيرنا الله إلى أى حال إلا إذا غيرنا أنفسنا أولا.

والخوف من العقاب عامل إضافى هام والطمع فى الثواب عامل آخر له وزنه والحزم ضابط للصف وكلها من موجبات المرحلة الحالية شريطة ألا تتجاوز الخيط الرفيع وتسلمنا إلى دكتاتورية هوجاء ومراكز قوى عمياء تحكم بالمزاج وتفتى بالهوى وتعود بنا إلى مرحلة الستينات التى كانت سبب البلاء كله.

وأى كلام غير ذلك هو عودة إلى مسلسلة التباكى والوقوف على الأطلال.

الكسل هل هو فى حاجة إلى دعم؟

تقول الاحصاءات إن هناك أكثر من ستين ألف تلميذ راسب يعيد السنة فى كافة معاهد الدراسة هذا غير عدة آلاف أدمنوا الرسوب ويعاودون الدخول إلى الامتحان للمرة الثانية والثالثة..

والدولة تنفق عليهم من مالها ودمها.

كيف يستوى طالب كسول وطالب مجتهد فى التمتع بالمجانية؟ وكيف نعطى من مالنا لندعم كسولا ونحن فى بلد لا يجد ما يأكل؟ أليس الأولى بنا أن نوفر هذه الأموال المهدرة ونقصر المجانية على مراحل التعليم الالزامى والابتدائى وعلى المتفوقين من طلبة الثانوية والجامعة؟ إن الخدمة التعليمية هبطت إلى مستوى لا يرضى عنه أحد والمدارس فى حالة يرثى لها وما ندفعه دروسا خصوصية لأولادنا أكثر من مصروفات هارفارد.. والمجانية أصبحت كلمة نضحك بها على أنفسنا.. مثل دعم الرغيف الذى يذهب فى النهاية علفا للبهائم والدجاج..

والحل على لسان الكل ولكن لا أحد يجرؤ على النطق به خوفا من التهم الجزافية..

والبعض يحبس الرأى فى صدره إشفاقا.. والبعض يقول وماذا يكون مصير الطلبة العاجزين عن الاستمرار.. ولا محل لاشفاق.. إنه قانون الانتقاء الطبيعى..

إن العاجزين عن الاستمرار سوف يتحولون إلى الحرف.. ويسدون فراغا يعانى منه المجتمع، وبذلك يستعيد الهرم الاجتماعى شكله الطبيعى.. إنه وضع غير معقول أن يكون فى مصر عشرون ألف حامل دكتوراه.. وبضع مئات من السباكين والنجارين والحرفيين.. وأن يكون السباك عملة صعبة وحامل الدكتوراه عملة بائرة ليس لها سوق.. والكليات النظرية مكتظة بالألوف وتلقى بألوف الخريجين كل عام ولا أعمال تستوعبهم .. على حين يكاد يتوقف البناء بسبب عدم توافر العمالة الممتازة..

إن الهرم الاجتماعى مقلوب وواقف على سنامه فهل سمعتم عن خلية نحل فيها عشرون ألف ملكة وبضع مئات من الشغالة؟!

إن ما يحدث إذا خرجت ملكة ثانية من الفقس ان تشتبك الملكتان فى قتال وتقتل واحدة منهما الأخرى.. قانون الانتقاء الطبيعى يقضى بذلك.. لتكون هناك سبعون ألف نحلة من الشغالة تؤلف قاعدة الهرم.. وعلى السنام والقمة نحلة واحدة هى الملكة تلك هى النسب الطبيعية التى أرادها الله..

أما عشرون ألف فيلسوف يحلم ولا أحد يعمل بيديه ولا أحد يبني ولا أحد يدق مسمارا.. فهو الخلل بعينه.

إنها حكاية أشبه بجيش فيه عشرون ألف مارشال وبضع مئات من الجنود.. نكتة.. ولكننا مع ذلك مازلنا مصرين على الخطأ.. ربما رياء وسمعة.. وليقال إننا نعلم بالمجان.. شعارات.. مجرد شعارات.. فهل نحن نربى ونعلم فعلا؟

وهل الجامعات التى نزلت إلى مستوى المدارس الثانوية جامعات؟

وهل يجد الطالب المعامل والمختبرات والأجهزة ليجرب بيده ويتعلم كما كنا نتعلم على أيامنا.. وكنا ندفع حين ذاك أربعة وعشرين جنيها مصاريف.. وهى أجر يوم واحد دروسا خصوصية الآن. وهى المصاريف الزهيدة التى ألغيت دون أى توسع مناظر ومساو لاستيعاب الطوفان الذى خرج من القرية وتدفق على مدرجات الجامعة.. فأصبح فى المدرج الواحد ألف.. ولا أحد يسمع ولا أحد يفهم ولا أحد يتعلم.. ولولا الجامعات الخاصة التى فتحها المدرسون الخصوصيون فى بيوتهم لتوقف التعليم تماما..

ولا أحد ضد المجانية.. ولا أحد ضد توفير العلم وإتاحته للكل كما الماء والهواء.. وأنا أول من يهتف للمجانية ولكن بشرط القدرة..

أما إذا جاء قرار المجانية دون رصد ميزانية كافية تغطى احتياجات الألوف الذين سيفدون بحسن نية إلى المدارس فإنه يدخل فى باب الادعاء والفشر وليس فى باب العمل الانسانى..

والسعودية تقدم جميع الخدمات التعليمية فى جميع المراحل مجـانا وأكثر من ذلك تدفع للطلبة مرتبات وتغويهم على التعليـم بـالمكافآت.. الثراء الموجود يسمح بذلك وأكثر.. ومن قبل ذلك بمائة سنة كنـا نحـن الذين نرسل المصريين للسعودية مجانا ليعلموا إخواننا السعوديين.. كان الرخاء فى بلادنا فى تلك الأيام يسمح.. وتلك هى حال الدنيا يـداولها الله بين الناس.. وليس شرطا أن تقدم وزارة التربية خدماتها للطلبة مجانا ولا هو عيب أن يدفع الطالب نفقاته..

إنما هى الظروف الاقتصادية وملابسات الواقع هـى التـى تحـدد أحسن الممكنات.

وليس ما نحن فيه الآن أحسن الممكنات.. وإنما هو استمرار لسياسة الشعارات ودولة الأفيشات القديمة.

وقد جاء وقت تصحيح المسار.. ولكن ما أطمع فيه هو شىء أكثر من التعليم.. إن مجرد التعليم لا يكفى.. إن التعليـم تحصـيل ومـذاكرة واستيعاب للموحود ولا يثمر إلا تقليدا واستظهارا.. وهمـا لا يخلقـان حضارة.. ولا يلدان إلا جنينا هو نسخة طبق الأصل من أبويه..

ولكنى أريد تدريب العقول على شىء أكثر.. على المغامرة والاقتحام والضرب فى المجهول والاعتكاف على الفكرة وحضانة الخاطر حتى يلـد جديدا.

الابتكار والاختراع والخيال الخلاق المبدع هو روح التقـدم وهـذا

لا يتأتى إلا بعنصر آخر يضاف إلى التعليم هو عنصر الحب والعشق والوجد..

إنى أحلم بشباب يحب الألكترون ويفكر فيه وينشغل به ويسهر عليه الليل كما يسهر على خطاب حبيبته.

أحلم بشباب مشغوف بالكهرباء وأسرارها شغفه بالكرة والفوازير.. أحلم بشباب مجنون بالطاقة الذرية جنون قيس بليلاه.

إن جريجور مندل الذى اكتشف أسرار الوراثة ووضع النظرية المشهورة باسمه كان مجرد راهب معتكف فى دير.. وكان يزرع مجرد أحواض البسلة.. ويزاوج بينها ويتابع نسلها.. وكان يحب زهرات البسلة وينتظر تفتحها بشوق كأنها بناته.

والعالم الروسى مندليف كان يحب العناصر كأنها أسرته وكان يكتب أسماءها على أوراق الكوتشينة ثم يرتبها حسب أوزانها الذرية ويقضى الليل يلعب بها وحده لعبة الصبر.. وهو صاحب جدول مندليف الشهير فى الكيمياء.. وقد تنبأ بعنصر الجرمانيوم قبل اكتشافه بعشرين سنة وأكثر من ذلك تنبأ بأنه سيكون أثقل من الماء بمقدار ٥،٧.. وذلك هو الشىء الأكثر من مجرد العلم.

إنه حب العلم.. وعشق الحقيقة.

إنه الفضول النبيل الذى يملأ قلب الانسان ويدفعه إلى الخلق والابتكار والاكتشاف.

ويجب أن يكون تعليمنا بحيث ينشئ هذا الفضول ويولد هذا الحب ويشجع عليه ويكافئ من يتصف به فهل مدارسنا بوضعها الحالى وبما فيها من تكدس وزحام وتدافع واختناق يمكن أن تخلق هذه الأشياء؟

لا أظن..

بل هى أبعد ما تكون حتى عن التعليم ذاته.. ومع ذلك فالشباب الموجود خميرة طيبة وبين القائمين على التعليم رجال مشتاقون إلى الاصلاح، فقط لابد أن نبدأ.. ومن الآن.. ونغير كل شئ.

واذا كان الشئ بالشئ يذكر فكذلك الدعم بالدعم يذكر. وكما أنه لا يصح دعم الكسل والكسالى فكذلك لا يصح دعم اللصوص والمهربين وسارقى الأقوات..

فهل يعلم القارئ كم تتكلف الدولة لدعم أسعار الألبان المجففة؟

إنها تتكلف ٢٢ مليون جنيه سنويا.. وكذلك زجاجة البنسلين التى تباع بثلاثة قروش ونصف تكلف الدولة ١٧ قرشا صافى تكلفة، أى ما مجموعه حوالى ٤ ملايين جنيه سنويا، وكذلك زجاجة الأنسولين أربعة ملايين أخرى وأقراص منع الحمل عدة ملايين غيرها.. فهل يعلم القارئ أين تذهب هذه الملايين؟

البنسلين يستعمل مع الرغيف المدعوم فى غذاء الدواجن ويصرف بدون روشتات وبإسراف سفيه فى جميع الأوجاع والأمراض دون مشورة طبيب.. وأقراص منع الحمل وزجاجات الأنسولين تخرج فى حقائب تجار الشنطة لتباع فى السعودية.. وشريط حبوب منع الحمل الذى يباع عندنا

بقروش يباع فى السعودية.. بدولار ونصف ونفس الشئ فى زجاجات البنسلين... والدقيق واللبن المجفف يتسربان إلى صناعة الحلويات ليعودا إلينا فى تورتات فاخرة عليها أسعار خرافية عشرون وثلاثون جنيها.. واستهلاك الدواء الذى كان فى عام ١٩٥٢ أربعة ملايين من الجنيهات وصل الآن إلى فوق أربعمائة مليون جنيه أى مائة ضعف، ونحن لم نتكاثر إلى مائة ضعف ولا ارتفع وعينا الصحى إلى مائة ضعف وإنما هو رخص الدواء وتفاهة شأنه وسهولة صرفه من الصيدليات بدون روشتة والتهرب، والسرقة واستغلال الدعم فى كل شىء إلا ما أريد به الدعم..

والذين وضعوا سياسة الدعم نسوا أنهم بخفضهم لأسعار الدواء بهذا الأسلوب التعسفى قد ضربوا صناعة الدواء فى مصر وعملوا على تكسيحها وهى مازالت فى مهدها.

أين القانون الذى يمنع صرف الدواء بدون روشتة؟

إن هذا القانون مع إلغاء الدعم وتحرير السلعة الدوائية سينهض بصناعة الدواء عندنا ويمنع سيل التهريب ويوقف نزيف الدولارات المستمر..

ان دعم الرغيف يكلف الدولة ألف مليون جنيه سنويا فى حين أن رفع ماهيات الموظفين بعلاوة مقدارها خمسة عشر جنيها بدل خبز لن يكلف الدولة سوى أربعمائه مليون جنيه والفرق يعود للخزانة.. ولن يضار أحد غير الموظف إذا ارتفع سعر الرغيف لأن العمال والحرفيين والفلاحين

ارتفعت دخولهم مع ارتفاع أسعار العمالة وأسـعار البيض والـدجاج والحليب والخضروات والفواكه..

لابد من نظرة جديدة إلى سياسة الدعم ولابد من ترشيد الانفـاق فى هذه القنوات السائبة المفتوحة على البالوعة..

لابد من دراسة هذه الثغرة التى يتسلل منهـا الفسـاد ليتلف أعـز ما نملك: العلم والدواء والقوت الضرورى..

أزمة غذاء ؟.. كيف

أزمة الطاقة.. وأزمة الغذاء.. وأزمة التلوث.. هى ثالوث اللعنة الـذى يهدد العالم.

ويتصور البعض أن الأمن الغذائى مشكلة مادية بحتـة حلهـا بيـد المنتج والموزع وحدهما.. ولكن الله يعلمنا أن الأمن الغـذائى والـرزق الوفير مرتبطان عنده بالتقوى والايمان وطاعة العباد.

والقرآن يصرح فى الكثير من آياته : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقـوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض).

[الأعراف - ٩٦]

(وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا)

[الجن - ١٦]

(ولو أنهم أقاموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم).

[٦٦ - المائدة]

وإذا كان العالم يخرج من أزمة اقتصادية ليدخل فى أزمة غذائية وإذا كانت الأرض تكتوى بالسيول والأعاصير والزلازل والبراكين والجفـاف وتقلبات الطقس والحروب.. فلا شك أن هذه الشرور والمحن يواكبها على الناحية الأخرى موجات الكفر والشرك والوثنية والتدهور الخلقى وتفكك الأسرة وطغيان المادية على جميع القيم والاعتبارات، وحتى فى البـلاد التى عرفت بتراثها العريق فى الدين والتدين نجد أن هذا التـدين قـد انحسر الآن إلى مجرد شكليات دينية. فى حين انحرف السلوك إلى مادية مسرفة وراح الكل يتسابق إلى الكسب المادى والثـراء العـاجل علـى حساب جميع القيم الدينية..

ولهذا كان إصلاح النفوس وتقويم الأخلاق هو ركن أساسى مثل العلم والتكنولوجيا فى حل المشكلة الغذائية.

إن شعار اليوم أن الاعتبار السياسى فوق الاعتبار الانسانى ولهذا نرى بعض الدول الغنية تستعمل الغذاء سلاحا للتجويع تحارب بـه الـدول الفقيرة.

وأحيانا نرى الاعتبار الاقتصادى يعلو حتى على اعتبـارات الحيـاة والموت فنرى المنتجين الكبار يفضلون إلقاء فوائض القمـح فى البحـر ليرتفع سعره على أن يرسلوه معونة لبلاد نامية تموت جوعا.

مثل هذه المظالم ترتد وبالا على الجميع.. وما نرى الآن من حال العالم.. التهديد النووى وتلوث البيئة وكوارث الطبيعة.. هو ثمرة هذه المظالم. فإن السماء لن تجود بالماء ولا الأرض بالحياة. وأبناؤها يسفحون عليها الدم بغيا وجورا على بعضهم البعض، وبالفهم العصرى لا تنفصل الأخلاق عن الدين .. فالدين هو أصل جميع الوصايا.. وهو النبع الأول لمكارم الأخلاق، ولا قيام للأمم ولا للأسرة الانسانية بدون الدعامة الخلقية.

وهذه الاعتبارات لها المقام الأول فى حل المشكلة الغذائية.. ثم يأتى بعد ذلك إنتاج الحبوب وتخزينها وتوزيعها.. وذلك لأن خالق الأرض وما تثمر من غلات هو الله، وهو الذى بيده وحده مرفق المياه الذى ينساب من السماء، كما أن بيده تغوير المياه الجوفية التى تخرج من الأرض.. وهو قد جعل الاجتهاد سببا للرزق.. كما جعل الطاعة والتقوى والمحبة مؤهلات أكبر خطرا.

وللمشكلة وجه آخر.. فالأغنياء فى حاجة إلى الفقراء ولا حياة لهم بدون الفقراء.. فالفقراء هم السوق الذى يشترى ويستهلك ما ينتجه الأغنياء.. وإذا أصبح هؤلاء الفقراء تحت مستوى الجوع أو غير قادرين على شراء الغذاء الذى يحتاجون إليه فلن يجد الأغنياء سوقا يبيعون فيه فائض إنتاجهم وسوف يفتقر الكل.. إن الأسرة الانسانية مترابطة.

وزكاة الجماعة الغنية فى أوربا وأمريكا هى أن تتحول فى ساعات الكوارث إلى مخبز لانقاذ البلاد الفقيرة فى أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية حينما تهددها المجاعات فلا حياة لهؤلاء بدون أولئك.

وهذه هى المعادلة الصعبة.

وعلماء الزراعة مندوبون إلى ابتكار وسائل جديدة لـزيادة الانتـاج الزراعى كما أن علماء ضبط النسل مطالبون بوسائل جديدة أكثر فعالية لضبط النسل ومعهم علماء البيئة فى حربهم على التلوث وعلماء الطاقة فى بحثهم عن مصادر جديدة للطاقة.. كل هؤلاء شركاء فى حل مشكلة الأمن الغذائى.

وهذا يعود بنا إلى أنه من الأصلح ملء المخازن والصوامع بـالغلال بدلا من ملء الترسانات بالأسلحة المدمرة وشراء المحراث والجرار، بدلا من الدبابة والقذائف. وتلك معادلة صعبة أخرى.

جريمة سب علنى

السينما فى بلادنا لم تعد فنا بل فضيحة. بل وصمة عار على كل من يعمل فيها ممثلا أو منتجا أو مخرجا.. لقد أصبحت شاشة كبيرة تروج فيها الغواية والعهر والفحش، ويظهر فيها شعب مصر ونساء مصر وبيوت مصر بما لا يليق، مصر الكفاح والصبر والألم لا يرون فيها إلا الغش والاختلاس والسرقة والتسول والمخدرات.. والحق أن هؤلاء المؤلفين مارأوا إلا أنفسهم فهم المخدرون، وما قالوه عن بلادنا هو الغش والتزوير بعينه ومصر بريئة مما قالوا وصنعوا وصوروا وأخرجوا.. ولا أدرى كيف لا يندى جبين هؤلاء الممثلين الكبار خجلا حينما يرون أنفسهم على الشاشة سبة لبلادهم، وأى كسب مادى يعوض ما جرحوا به أهليهم وإخوتهم.

وإذا كانت ستوديوهات القطاع العام لن يخرج منها إلا هذا الغثاء، فأولى بها أن تغلق ولن يخسر الفن شيئا إذا توقف هذا النوع من

السينما وإذا توقف هذا القىء على الشاشة إنه الاجراء الوقائى الباقى لوقف هذه الجريمة ولايقاف هذا السب العلنى الذى يجرى تحت مظلة القانون.

سوف يقول قائل: هو شر أهون من الفيديو، وإن الفيديو الذى أصحبت له الآن نواد وقاعات وبوتيكات والذى دخل إلى الريف واقتحم كل بيت يعرض على الناس ما هو أسوأ، يعرض العرى الكامل والجنس المكشوف، ويشوه النفوس بروايات الرعب والقسوة والعنف والدم.

وأقول هذا صحيح.. لكن مثل هذه الأفلام تقع تحت طائلة بوليس الآداب وقوانين التهريب، وحكمها حكم الهيروين والكوكايين والمورفين وحقن الماكستون فورث.. فهى ممنوعات، حملها وترويجها جريمة بالفعل.. أما أفلام السينما فهى تدخل علينا من قنوات مشروعة وهى بعض ما يقرر علينا رؤيته فى سهرات التليفزيون ومثلها الاعلانات التى أصبحت تنافسها فى العرى والغواية لا تكاد ترى عطرا جديدا يظهر الآن فى التليفزيون إلا وتزفه الاعلانات العارية يختارون لها ملكات جمال كل واحدة تنافس الأخرى فيما تعريه وفيما تكشفه.. هذا غير الروج والمانيكير والشامبو ودائما هناك امرأة تغويك بشىء، وفى إعلانات الكريم ترى أصابع الرجل تدلك صدر المرأة وكتفيها وتراها تتأوه لجمال ملمس الكريم.. وأكثر هذه الشركات أوربية غربية.. والشركات المصرية تسابقها فى نفس المضمار.

إنها عملية حصار لحواس المشاهد وعملية استدراج تجارى رخيص للعين وللأذن حتى يظل المستهلك مغمى عليه لا يفيق.. استعباد من نوع

جديد يتسلل إلينا من المنافذ المشروعة.. هذا غير الحصار الآخر الذى يقفز إلينا من المنافذ الممنوعة.. وما يكاد يمر يوم الآن إلا ونقرأ عن شحنة مخدرات بكذا مليون جنيه تأتينا على ظهور الجمال وفى البواخر وفى إطارات السيارات وفى لعب الأطفال.. هذا غير الفيديو والمجلات الجنسية والنشرات السياسية المضللة.

وقريبا تضع إسرائيل قمرها الصناعى فى الفضاء لتبث إلينا ما تريده من أفلام عارية ودعايات كاذبة تضعها فى عبوات من الفن الماكر الذكى وآخر مستحدثات الفساد والافساد تجذب بها شبابنا إلى عملية الغواية.

إن الحصار سوف يزحف علينا من جميع المنافذ فماذا أعددنا له، إن حروب الغد لن تكون حروب مواجهة وشجاعة فارس لفارس كما كان على أيام أجدادنا، بل ستكون حروب مكر وخسة ودسيسة وتآمر وغدر ولؤم، سوف يتسلل الخصم من المطار ومعه أنبوبة صغيرة بها مزرعة ميكروب كوليرا يلوث بها الترع والمصارف ومساقى الماء أو شحنة كتاكيت مريضة ينشر بها الموت بين جميع الدواجن، أو فيديو يلوث به عقول الشباب، أو إشاعة يحدث بها البلبلة والاضطراب، أو منشورات يثير بها الفتن الطائفية، أو قنبلة صغيرة يفجرها فى مسجد أو كنيسة ويحرك بها موجات من الغضب الشعبى ويفجر بها التعصب الأعمى بين صغار العقول.

حروب اليوم أيد تتحرك فى الخفاء لتتحكم فى السلع وترفع الأسعار وترفع الذهب وتخفض الدولار وتتحكم فى أسعار الأوبك. الحرب العصرية هى أن تجعل خصمك يقتل نفسه بنفسه بدلا من

أن تكلف نفسك بمشقة قتله.

وهكذا هم اليوم يدفعون اللبنانى لقتل اللبنـانى، والايـرانى لقتـل العراقى واليمنى الجنوبى لقتل اليمنـى الشـمالى، والحبشـى لقتـل الصومالي واليسارى لقتل اليمينى، والمسيحى لقتل المسلم.

إن مدفعية الفتن سوف تبدأ عملها قبل مدفعية الهاون بزمن طـويل وسوف تعمل من خلال الفن والكتاب والصـحيفة والشـاشة الـكبيرة والشاشة الصغيرة، إنهم يلتقطون الشاب المتدين السليم النية ليقولوا له إن الخل حرام والزهور البلاستيك حرام والصور الفـوتوغرافية حـرام وتقبيل راية الوطن وثنيه.. ولحيتك يجب أن تكون هيئتهـا كذا وسروالك طوله كذا.. وذلك ليدفعوا بحماسه فى قنوات شكلية وليصرفـوه عـن جوهر الدين وليضيعوه فى خلاف جدلى، وليصيبوه بالوسواس فى كل عمل وذلك بعض مكرهم.

إن تلويث العقول هو الهدف الأول لهذه الحرب وافقادنا للثقة فى أنفسنا وتشكيكنا فى قدراتنا هو الهدف الثانى.

وهم لاشك يهللون لهذه الموجة الهابطة من الأفلام التى نجرح بهـا أنفسنا ونفضح نساءنا ونتهم شرفاءنا. فها نحن أولئك نقتل أنفسنا ونوفر عليهم قتلنا.. وقد وفرنا عليهم المعركة وهزمنا أنفسنا بأنفسنا..

إن الحب وهو أقدس شىء نصوره فى أفلامنا على أنه نزوة جنسية أو لذة يفوز بها صاحب أعلى رصيد، أو صفقة تعقدها راقصة فى كباريه، أو شقاوة مراهقة أو سهرة وسكرة تعقبها جـريمة، أو شـذوذ مـرضى أو

أكذوبة.. والزوجة فى كل أفلامنا رمز للعدوان والعشيقة رمز للرحمة والحنان. والقيم نراها بالمقلوب.. والخير لا أثر له ولا وجود.. والكل لصوص، المحامى والقاضى والمهندس والطبيب والموظف والعامل، والشعب كله حكاما ومحكومين.. مباءة قذره لا أمل فيها ولا فائدة.. وكأنما بين المؤلف والمخرج والممثل حلف واتفاق بأن يبصقوا علينا وعلى أنفسهم وعلى الشاشة.

يا سادة.. لماذا كل هذا التشويه والتزييف.

لماذا نهزم أنفسنا ونحفر قبورنا بأظافرنا.

لماذا نوفر على أعدائنا المعركة ونطعن صدورنا طعنة الموت بأيدينا.. لماذا لا نرى طلعة الفجر وابتسامة الوليد وتفتح الورود.. لماذا لا نرى الخير والأمل. لماذا لا نقدم فنا إيجابيا يجمع الشمل ويداوى الجرح ويقدم الحلول. لماذا نقع فى سذاجة فى الحفرة التى حفروها لنا. لماذا لا نقرأ التاريخ ونعى الدرس؟.

ثم هل نحن نعيش فى حالة إسهال عاطفى كما نرى أنفسنا على الشاشة، وكم منا هؤلاء الذين يتعاطون الهروين والكوكايين والمورفين. وكم عائلة مصرية تسهر فى ملاهى الهرم وتنفق الألوف على موائد الأوبرج، وكم من الخمسة والأربعين مليون مواطن يرتادون غرزة الحشيش ويشربون الجوزة وكم بين ملايين الفقراء المطحونين من يجدون بين أيديهم فائضا من المال ينفقونه على هذا الترف.؟

بين كل مائة ألف لا تجد ثلاثة أو أربعة، فكيف لا ترى كاميرات

السينما المريضة إلا هؤلاء الثلاثة أو الأربعة لتجعل منهم حدوته كل فيلم وموضوع كل رواية تتكلم عن مصر.. وكأنما مصر الحضارة والتاريخ ليس فيها إلا بار خمسة باب وحي الباطنية ودرب الهوى وشفيقة القبطية وبمبة كشر ووداد الغازية وزوبة الكلوباتية إلى آخر هذه الحثالة التى تكافح السينما لاحياء سيرتها.

إذا كانت السينما لا تدرك هذه الجريمة التى ترتكبها فى حقنا وفى حق بلادنا وحق أولادنا فإنه لا يبقى أمامنا إلا تحويل ملف نشاطها إلى النيابة الادارية وبوليس الآداب وشرطة المخدرات..!!

الباب إلى المستقبل

سطور قليلة قرأها بعضنا ومر عليها مرور الكرام وتوقف عندها البعض واعتبرها أخبارا طريفة وآخرون لم يلتفتوا.. وهى عن حال قريتنا وحال فلاحينا تقول الأخبار إن فلاحينا اليوم ينزلون القاهرة ليشتروا منها البيض والدجاج والزبد والجبن والدقيق والقاهرة بدورها تشترى هذه السلع الغذائية بالعملة الصعبة من أوربا وأمريكا.. وتساءل الذين قرءوا هل أصبحنا نحن وفلاحونا عالة وكما عاطلا لا ينتج.. أين قريتنا زمان التى كانت تزرع لتأكل ولنأكل نحن معها ثم نصدر فائض خيراتها إلى العالم الخارجى وأين فلاحونا؟؟

قالوا فلاحونا يتجمعون فى المساء فى مقاهى القرية يسهرون أمام شاشات التليفزيون يتابعون المسلسلات ويتناقشون فيمن قتل فهيمة ومن هو الشاطر حسن فى عطفة خوخة ثم ينامون فى الفجر ليصحوا عند زوال الشمس مثل رواد الأوبرج والأريزونا والقلة القليلة من الأثرياء عندهم

فيديو فى البيوت وعندهم العديد من الأفلام المحظورة يتسابقون بهـا فى قتل الوقت الطويل الممل.

أما الأرض الطيبة فتتسابق إلى تجريفها الأيدى لتبيعهـا لمضـارب الطوب ولا تدرى هذه الأيدى المجرمة أنها تبيع أثداء الأم التـى تعيش على لبنها وتبيع لحمها ليتحول إلى عمارات كالحة كئيبـة تبنـى لتقـع وتنهار.

وقالوا إن الذنب على الكهرباء التى أدخلناها إلى الريف بدون خـطة ومددنا كابلاتها إلى القرى رياء وسمعة ليقال إنا أدخلنا النور والحضارة إلى القرية.

هذه الكهرباء بدل أن تدخل القـرية لتـدير الـطلمبات والمصـانع والمناسج والمغازل ومناشير الخشب وتحول القرية إلى وحـدة منتجـة دخلت لتشغيل التليفزيون الملون ولاثـارة الشـهوات ورغبـات الشراء ولتحول القرية إلى وحدة مستهلكة..

فنحن لم ندخل إلى القرية حضارة، فالحضارة ليست أن تتفرج علـى التليفزيون، بل أن تصنعه وليسـت أن تسـابق إلـى شراء الصـوف الانجليزى بل أن تتعلم كيف تغزله.. الحضارة أصـبحت اليـوم علمـا وصناعة وتكنولوجيا ومقدرة اقتصادية وتنمية..

فلا حرية ولا استقلال ورغيفنا وأسلحتنا وثيـابنا فى أيـد أجنبيـة تصنعها..

إن السيادة ستكون لمن بيده لقمتنا وهو سـوف يسـتعمرنا دون أن

يرسل جنديا واحدا إلى أرضنا ودون أن يطلق رصاصة واحدة إلى صدورنا..

وسوف يفرض مشيئته علينا دون حاجة إلى قوة أو قهر.. فإن ذل حاجتنا يكفيه وبإمكانه أن يرفع سعر أى سلعة فيضاعف فقرنا أضعافا كما يشاء ولا حرية لمحتاج ولا استقلال لسائل.. إن رجلا واحدا اسمه طلعت حرب أدرك هذه الحقيقة من عشرات السنين وصنع لنا ثورة واجه بها طواغيت المال والصناعة.. وعن طريق بنك واحد هو بنك مصر أقام تنمية شاملة لها عشرات الروافد فى كل مدينة وقرية وعشرات الشركات والمصانع والمناسج والمغازل وفى وقت قصير كانت مصانع الغزل والنسيج فى المحلة تنافس مناسج يوركشير فى إنجلترا واليوم عندنا أكثر من مائة بنك لا يفكر أحدها فى أن يساهم فى تنمية أو يقيم صناعة أو يمول زراعة وإنما كلها بنوك ربوية تقرض بالفوائد وتجمد مدخراتنا فى ترانزيت يتحرك حركة بندولية من سحب إلى إيداع ومن إيداع إلى سحب، وكان لعبد الناصر رؤية مختلفة عن رؤية طلعت حرب وثورة من نوع آخر للخروج بمصر من قبضة الاستعمار والاقطاع والنهوض بها إلى تنمية شاملة هى إسقاط النظام كله، وكانت المطرقة التى استخدمها عبد الناصر هى الصراع الطبقى، فضرب الطبقات بعضها ببعض.. ضرب المثقفين بالعمال وضرب الملاك بالفلاحين وضرب أصحاب المصانع بالشغيلة وضرب الأغنياء بالفقراء وبذلك أسقط الكبار وتخلص من استغلالهم لكنه أسقط مع الكبار الهيبة والاحترام وأشاع التباغض والتحاقد والتنابذ.

لقد تخلص من عشرات من اللصوص الكبار ليحل محلهم ألوف مؤلفة من اللصوص الصغار وغابة من الأطماع كل واحد يحاول أن يصنع فى القاعدة ما صنعه عبد الناصر فى القمة فيضرب كل صغير كبيرا وكل مرءوس رئيسا وكل خادم مخدوما واستنفد الصراع مصر الأم حتى النخاع وكانت النتيجة هزيمة ١٩٦٧ وانتكاس كل شىء.. الأرض التى أخرج منها الانجليز دخلها اليهود والقناة التى أممها ردمها والوحدة التى أعلنها انقلبت انفصالا والتحرر من أمريكا انتهى إلى الوقوع فى قبضة روسيا ودولة الديمقراطية تحولت إلى دولة المخابرات، والرخاء انتهى إلى إفلاس ومليارات من الديون.

وفشلت الناصرية لأنها لم تكن سوى سلالة ماركسية وفكر مستورد.

وانتهت الضجة وسكت الصوت الذى كان يجلجل من الخليج الفارسى إلى المحيط الأطلسى ومضت الأيام لتخصم من رصيده ولتكشف كل يوم مستورا وتفضح عيبا.

ويبقى اسم طلعت حرب المكافح البسيط المتواضع لتضيف الأيام إلى رصيده، فما صنعه بدون حرب وبدون عنف فاق بمراحل ما صنعه عبد الناصر مؤيدا بالمعسكر الاشتراكى كله ومؤيدا بالجند وأجهزة الاعلام ومليارات القروض.. وظل نموذج طلعت حرب هو القدوة اليوم أكثر مما كان بالأمس.

وظلت مسيرة طلعت حرب هى الحل والمخرج على مستوى الحلول الذاتية وعلى مستوى البنوك وعلى مستوى الدولة.

التنمية والانتاج والعمل بتطوع من الأفراد والجماعات وبمساهمة البنوك وبمشاركة الدولة من تربية النحل وتفريخ الكتاكيت وتسمين العجول وغزل القطن إلى استصلاح الأراضى وإقامة الصناعة وبناء البوارج والغواصات والطائرات.

وفى اليابان تدخل البيت فتجد الأسرة كلها وحدة إنتاجية صغيرة تشتغل بتجميع الترانزستور والساعات الرقمية والحاسبات الالكترونية.

وفى الصين ترى كل أسرة قد أقامت فى بيتها فرنا صغيرا لصهر الحديد الخردة، وفى الدنمارك تحول الريف إلى مصنع زبد وجبن وحليب يصدر للعالم كله، واليابان بلد رأسمالى وكذلك الدنمارك والصين بلد شيوعى لكن الخط المشترك هو العمل والانتاج والتنمية يشترك فيها الكل أفرادا وجماعات وشركات وبنوكا ودولة.

وهذا هو المدخل إلى الاستقلال والرخاء والحرية فى عالم اليوم.. علم وعمل وسهر وعرق وبذل وسباق على الانتاج وليس استرخاء اثنتى عشرة ساعة أمام شاشات التليفزيون وتثاؤبا بليدا من مسلسلة إلى مسلسلة.. أما وقد زحف غول التليفزيون إلى القرى وبدأ ينهش الوقت والطاقة فإنه لم يعد هناك مخرج من الكارثة إلا قطع ساعات الارسال إلى النصف والاكتفاء بقناة واحدة يتعاون فيها الجهد الاعلامى على إيقاظ الناس من هذا السبات الكئيب، ومن هذا الاسترخاء البليد وعلى فتح عقولهم وعيونهم وآذانهم على الواقع وعلى الباب الضيق الذى لا مدخل سواه إلى المستقبل.

لابد أن يتحول الاعلام إلى صوت صارخ فى برية يقول.. حى على خير العمل..

ولابد من فطام الذوق الجماهيرى من المصاصة التى يمصمص فيها وهى المسلسلات الترفيهية والتى لا تعنى أى شىء سوى قتل الـوقت وكأنما أصبح الوقت عدوا.

ولكن الوقت يا إخوة هو عمرنا.. الوقت هـو الحـاضر والمسـتقبل والأمل..

الوقت هو مصر.

الوقت هو القرية والمدينة. وهو أنا وأنت ونحن.. وإذا تحولنا جميعا إلى أفواه تأكل وأيد لا تعمل فإن أى نظام وأى منهج سياسى لن يتقـدم بنا خطوة إلى الأمام.. فإن الأمم لا تنهض بالخطب والهتافات والتصفيق ولا تتقدم بالشعارات وإنما بالعمل.

ووظيفة المنهج اليساسى هى إطلاق حرية العمـل وتحـرير الأيـدى العاطلة من المعوقات وفتح الأسـواق أمـام المنتجـات واسـتيراد التكنولوجيا والخبرات المتطورة وتشجيع المتفوقين بـالحوافز لتنـدفع عجلة التنمية.

ووظيفة التليفزيون هى ساعة ترويح وساعة متعة وفائدة للعامل وليس اثنتى عشرة ساعة شغلا للعين وشدا للآذان والحواس.

إن إعادة تخطيط الوقت واختيار المنهج السياسى المـلائم وتـربية الشباب على العمل هى أولى الخطوات على طريق الانطلاق وهى أولـى ضمانات المستقبل.

الرفق بالقاتل ظلم للقتيل

زبانية الجحيم.. وعبيد الشيطان.. وجـرذان الشـوارع.. تلك بعض أسماء هذه العصابات من الشباب المراهق الذى انتشر فى العالم كلـه.. وهى عصابات اتخذت من الموتوسيكلات السريعة ركوبتها المفضـلة.. يخيمون فى الحدائق ويقضون الليل فى مجون وسكر وعربدة.. شـعاراتهم المعلنة.. هى الدم.. والجنس.. والخمر.. والمخدرات والحرية بأى ثمن.. وقد أفسحت الجرائد الانجليزية صفحاتها فى الأيام الأخيـرة للمـذبحة التى التقى فيها شباب هذه العصابات وتقاتلوا بالفئوس والخناجر، وكان الواحد منهم يبتر ساق الآخر بلا مبالاة.. وكان جزءا من العرض الماجن فى تلك الليلة فتاة من بينهم خلعوا عنها ثيابها وصلبوها عارية وراحـوا يرقصون حولها وحملت عربات الاسعاف عشرات القتلى والجرحى آخـر السهرة .. وارتفعت صيحات الاستنكار بين الرأى العام تطالب الحكومه بالقوانين الصارمة والعقاب الرادع لأمثال هـذا الشـباب المسـتهتر الماجن.. وقالوا إن هذه الانحرافات هى ثمرة التساهل واللين والـرفق

وثمرة ديموقراطية منحلة أضفت الشرعية علـى كل الـرذائل وبسـطت حمايتها على الشواذ ومدمنى المخدرات.. وطالب نواب البرلمان وعلـى رأسهم مسز تاتشر بالعودة إلى عقوبة الاعدام والسجن والمؤبد والسجن مع الأشغال الشاقة.

وفى الطرف الآخر من العالم وفى قلب الصين الشيوعية قرأنا أخبـارا مماثلة عن إعدام عشرات فى الميادين العامة شنقا بتهمة الفساد وقـطع الطريق واغتصاب الفتيات وحوادث سرقة بالاكراه.

ومن جارتنا السودان خرجت الأخبار من الخرطوم تقول بـأن مجلس الشعب هناك صادق على قوانين جديدة بقطع يد السارق ورجم الـزانى وجلد شارب الخمر.

ويبدو أن هناك اتفاقا غير مكتوب بين مختلف الفرق والمذاهب شرقية وغربية دينية ولادينية شيوعية ورأسمالية إسـلامية ومسـيحية علـى المبادرة إلى العنف لقطع دابر العنف.. وأن الحضارة مهـددة بمـوجة انحلالية لا سبيل إلى علاجها إلا بالبتر والاستئصال والقمع.

وقد كانت السنن الالهيه سابقة على هذه السـنن السـياسية، ألـم يستأصل الله أقواما مثل عاد وثمود وأصحاب الأيكة وقوم نوح وقوم لوط حينما عتوا فى الكفر والفساد والافساد فعاقبهم الله بالطوفان والخسـف والصيحة والرجز والريح الصرصر العاتية واستأصل شأفتهم وجعلهـم أحاديث ومزقهم كل ممزق؟

وأخيرا.. ألم نسمع عن أمراض غامضة تصيب الشواذ جنسيا وتقضى

عليهم.. وكأنما تجددت اللعنة على قوم لوط فعاد الله ليحصبهم بحجارة من سجيل؟

ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا. إن ترك الحبل على الغارب للمفسدين ليس رحمة وإنما هو ظلم وغبن للجانب الخير والصالح من المجتمع.. والرفق بالقاتل هو ظلم للقتيل.

وصدق الله العظيم إذ يقول:

(ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب).

صدق الله العظيم

إن الرفق واللين والامهال للمجرم واجب إنسانى، ولكن له حدود وله نهاية.. ونهايته ألا يزدجر ولا يرجع فلا يبقى لولى الأمر إلا الأخذ بالشدة والضرب على اليد الباغية.

وما يجرى حولنا فى العالم هو درس لنا هنا فى بلادنا حيث بلغ التسيب أقصى مداه وحيث استشرى الطمع واستأسد الشر وحيث ظن المجرم أن عين العدالة قد نامت ويد الحاكم قد شلت.

ونحن لا نعيش وحدنا وإنما نقاسم العالم خيره وشره ونتعلم ونعتبر مما يدور حولنا فى العالم شرقه وغربه.

إن سرقة الكابلات فى ظاهرها جريمة بسيطة عقوبتها التقليدية تافهة ومع ذلك فإنها فى الحقيقة جريمة كبرى تؤدى إلى ضياع أرواح.. هم كل الذين استنجدوا وطلبوا الطبيب أو الشرطة أو المطافئ فى منتصف الليل

فلم تسعفهم الكابلات المقطوعة.. إنها جريمة قتل يجب أن تسن لها تشريعات عقابية جديدة.

ومثلها الغش فى الأسمنت والحديد ومواد البناء والتى تؤدى بدورها إلى سقوط عمارات وضياع أرواح.. إنها ليست مثل أى غش.. بل هى جرائم قتل.

ومثلها الاتجار فى الأغذية الفاسدة ومثلها الاتجار فى المخدرات لابد من إعادة النظر فى القانون الجنائى كله.. إن أيدى الاجرام التى طالت واستطالت أصبحت فى حاجة إلى قوانين باترة حاسمة تعيد التوازن إلى مجتمع يوشك أن تميل كفته كلها لصالح الاجرام والمجرمين.

نوع جديد من القوة

إلى الآن مازال العذر الجاهز لأى تخلف هو الاستعمار.. ما بمصر من مشاكل سببه الاستعمار.. ما بالعالم العربى من تأخر سببه الاستعمار.. ما فى أمريكا اللاتينية من فقر وفوضى وتناحر سببه الاستعمار.. ما بأفريقيا من انقلابات سببه الاستعمار.

لا أمل فى أى وطن طالما أنه محتل عسكريا مقهور حربيا.

ولكن هذه الأكليشيهات قد انتهت..

بل إن التاريخ العصرى قد قلب جميع الموازين.

اليابان قفزت إلى الصدارة برغم أنها مستعمرة أمريكية ومحتلة عسكريا.

ألمانيا الغربية فى طليعة الدول الصناعية وهى أقوى دول السوق الأوربية مع أنها مستعمرة أمريكية ومحتلة عسكريا.

كوريا الجنوبية تكاد تقوم منفردة ببناء الصناعة فى كل العالم العربى مع أنها مستعمرة أمريكية ومحتلة عسكريا.

ونكرات مثل تايوان وتايلاند وهونج كونج تدخل فى المزاحمة وتنافس المنتجات الأمريكية وفى أمريكا ذاتها.

ونجد النقيض على الطرف الآخر.. اليمن فى عهد أسرة حميد الدين تصل إلى أقصى هاوية التخلف دون أن يمسها استعمار أو يحتلها أجنبى أو يدخلها قدم غريب.

هناك نوع جديد من القوة يعلن الآن عن نفسه.. وهو القوة برغم الاستعمار والغلبة برغم الاحتلال العسكرى.. قوة جديدة تستمد وجودها من اندفاع الشباب للأخذ بأسباب العلم واللحاق بالتطور التكنولوجى ومسابقة الخصم فى ميدانه وملاقاته على نفس مائدته.

والنشاط الجموعى لهذا الشباب ما يلبث أن يتحول إلى إنتاج ثم يتحول الانتاج إلى ثروة وقوة مادية وقدرة سياسية تكسب احترام الخصم قبل الصديق.

انتهى الكلام الساذج الذى كان يقوله كارل ماركس عن الامبريالية ويردده خلفه الرفاق الشيوعيون فى ببغاوية آلية.. وظهرت قوة جديدة اسمها العلم.

ولا يوجد علم روسى وعلم أمريكى وعلم إنجليزى.. إنما العلم واحد.. وهو متاح فى الكتب وليس كهانة ماسونية.. وأى جهاز ألكترونى مهما بلغ من الدقة يمكنك أن تفكه قطعة قطعة وتدرسه ثم تصنع مثله وتتفوق عليه.

والذراع الناشطة والهمم العالية لم تعد تستطيع أن تقف فى سبيلها أى قوة.. وجيش محتل من بضعة ألوف فى بحر من الملايين يذوب كذرة ملح ولا يقدر على شىء.

نحن ندخل عصرا جديدا.. نرى فيه الأمم المغلوبة تنتصر على غالبيها وفى عقر دارها وبدون حرب.. وإنما بمجرد الهمة والنشاط والعمل والنظام والأخذ بأسباب العلم.

وعما قريب تدخل اليابان سوق السلاح وتصبح الثالثة بين القوى العظمى.. هكذا خلسة وفى غفلة من عين الزمان التى لا تنام.

وبعد اليابان لا ندرى من يأتى فى القائمة.

أقول هذا لأؤكد أن الطريق أمام مصر مفتوح برغم كل مؤامرات الاستعمار حولها وبرغم إسرائيل.. وبرغم الانقسام العربى.. الطريق مفتوح على مصراعيه برغم كل هذه المعوقات إذا نهض الشباب إلى العمل وشمروا السواعد وشحذوا العزائم وأقبلوا على العصر يأخذون بكل جديد فيه.

ويؤكد زعيمنا أن الانفتاح ركيزة سياسية لنظامنا وأنه لن يتراجع عنه.. وهذا هو الضمان الوحيد والأول لميلاد هذا اللون من القوة فلن تنشط الأذرع بلا حرية ولن تقبل على العمل بدون حافز الربح.

والشيوعية والاسلام فى هذه النقطة على طرف نقيض، الشيوعية تقول ننزع ملكيات كل زارع صاحب أرض وكل صانع له مصنع وكل صاحب شركة وكل صاحب مؤسسة.. لتئول كل هذه الملكيات للدولة يديرها

الموظفون.. فيما عرفناه وجربناه فى الستينات باسم التأميم والقطاع العام.. وتدير الدولة كل هذا للصالح العام.

ويقول الاسلام.. بل نشجع كل زارع لينتج أكثر ويملك أكثر ونشجع كل صانع ليصنع أحسن ويبنى بدل المصنع الواحد مصنعين ولنا وعليه حق الرقابة حتى لا يجور ولا يظلم.. كما أن لنا عليه حقا معلوما هو زكاة المال وهى التأمين الواجب للجانب الضعيف من المجتمع.. وفارق بين نظام ينطلق من الحقد والانتقام والتشفى ونهب الأموال والممتلكات.. ونظام ينطلق من المصالحة والتشجيع والتعاطف.

وتصورت الماركسية الشيوعية أن مذهبها الاقتصادى سوف يحقق معجزه الاحياء الاجتماعى فى زمن خيالى، ولكن ما حدث على خريطة الواقع أن الماركسية كانت لونا من الابادة الجماعية.. لم تدخل بلدا إلا جرت وراءها الخراب وهبوط الانتاج واللامباة والبيروقراطية والسلبية والفقر والحقد والوجوه المجهده المقهورة الشاحبة.. رأينا ذلك فى المجر وفى تشيكوسلوفاكيا وفى رومانيا وفى بولندا وفى برلين الشرقية.. وتحولت كوبا إلى جيوش من المرتزقه تحارب فى أنجولا ونيكاراجوا والصومال فى خدمة السادة الجالسين على عرش الكرملين وكفت البقرة الحلوب التى دخلت فى ملكية الدولة أن تعطى الحليب.. وقالها خرشوف يسخر بها من نفسه ومن النظام كله: إن البقرة التى يملكها صاحبها تعطى من الحليب أكثر مما تعطى البقرة التى تملكها الدولة.. وما انتهت إليه مزارع أنشاص فى بلدنا بعد تأميمها هى مثال آخر، بل إن الاصلاح الزراعى نفسه نزل بالمحصول إلى الحضيض كما ونوعا وأعلن عن فشل

الفكرة الماركسية بأبلغ ما أعلنت بقرة خرشوف.

بل إن الصين نفسها تحدثت عن الثورة الثقافية الصينية بأنها كانت جريمة جماعية وطاردت زعماءها بالسجن والاعدام.. وتلك هى الثوره الثقافية التى كنا نهلل لها فى سذاجة ونردد خلف قبيلة من النقاد الخادعين والمخدوعين.. أنها ذروة التقدمية.

وذلك تاريخ انتهى وانسحب عليه ستار النسيان.

ولكنا نقول هذا كملاحظة عابرة.. لنؤكد أن القوة الجديدة التى تكلمنا عنها عصبها الحرية وركيزتها الاقتصاد الحر.. وأنها تنمو فى بلد إسلامى مستنير متطور بأكثر مما تنمو فى أى بلد شيوعى.. وأننا فى بلدنا نستطيع أن نبدأ المشوار برغم جميع العوائق وبرغم الاحباط الذى يحيطنا من كل جانب إذا صدق العزم وصدقت النية ورافق ذلك التخطيط المناسب والتوجيه الاعلامى والتربية الشبابية الملائمة فى البيت وفى المدرسة وأولا وقبل كل شئ القدوة.. التى تجسد هذا العزم.. أن نرى طلائع وكوادر من الشباب المتحمس نراهم رأى العين أمامنا يعملون ويعطون المثال.. هذا هو الطريق.

وصدقونى.. التاريخ يعلمنا أنه لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس.. وأن أمما ولدت من عدم.. وأمما كانت فى الذرى وانهارت إلى لا شىء.. وأن الأيام دول وأن كأس المنايا على الأبطال دوارة وأنه لا اعتبار لهذا السيرك الذى اسمه الدنيا.

سوف يطلع الفجر من داخلك

لم يحدث فى التاريخ أن جاء عصر بمثل هذه الوفرة والغنى والترف المادى والأدوات التكنولوجية التى تسهل الحياة على المواطن.. وقد رأينا أمهاتنا فى الماضى القريب يغسلن ويكنسن ويطبخن ويخبزن ويعجن ويرضعن أطفالهن.. واليوم الغسالة الأتوماتيكية والمكنسة الكهربائية والوجبات الجاهزة والمخبز الآلى والألبان الصناعية تؤدى عن المرأة كل هذه الوظائف.. وبضغطة على زر يستحضر المشاهد فى لحظة فرقا استعراضية من كل أنحاء العالم ترقص وتغنى له.. وهو يستطيع أن يصل إلى أقصى أطراف المعمورة فى ساعات بالطيران النفاث.. وهو يستطيع أن ينزل إلى أعماق البحر وأن يرتاد الفضاء، وهو يستطيع أن يوظف العلم لتخضير الصحارى ولزرع الأجنة فى الأنابيب ونقل قلوب الموتى إلى صدور الأحياء وعلاج العقم وهزيمة السرطان، وهو يستطيع أن يستحدث محاصيل جديدة ويضاعف من المحاصيل القديمة.. والانتاج الزراعى وصل أحيانا إلى درجة من الوفرة أدت بالمنتجين إلى

إلقائه فى البحر حتى لا ينخفض سعره.

والطاقة الذرية والطاقة الشمسية والالكترونيات والليزر والأمواج فوق الصوتية فتحت مغاليق أسرارها للانسان.. والفلاح المعدم الأجير وصلت يوميته فى مصر إلى ثمانية جنيهات وأصبح عملة نادرة عـزيزة، ومثلـه النجار والحداد والنقاش والسباك وهى حرف سهلة لاتحتاج إلى أكثر من شهور لاتقانها.. وعائدات النفط الوفيرة من العملة الصعبة انتقلت بدول الخليج وإيران والسعودية بقفزات حضارية لاهثة لتجعلهـا فى مصـاف الدول الأوربية.

وكان المفروض أن تؤدى هذه الوفرة والغنى والسهولة بالانسان إلى السعادة.. ولكن ما حدث كان العكس.. فقد ازداد الانسان بهذه الوفرة المادية تعاسة.. وارتفعت معدلات الجنون والانتحار والأمراض النفسية فى العالم كله.. وازدادت الأسر تفككا.. وازداد الناس بعدا عن بعضـهم البعض وانعدم التواصل بين الزوج وزوجته والأخ وأخيه والأب وابنـه.. وأصبح الناس كالجزر التائهة الشاردة لا يكاد يجمعها رابط..

اجتمعت دول السوق الأوربية المشتركة وعجزت عن الاتفاق.

واجتمعت دول الأوبك وعجزت عن الاتفاق.

واجتمع زعماء العرب وعجزوا عن الاتفاق.

بل إن الطائفة الاسلامية انقسمت فى لبنان إلى دروز وشيعة ولم تتفق وانقسم المسيحيون إلى كتائب ومارون وتقاتلوا.

وانقسمت الشيوعية إلى جبهات روسية وصينية وكمبودية وفيتنامية وتقاتلت جميعها وانقسمت الرأسمالية إلى معسكرات وجبهات بعدد الأهواء والمصالح وتقاتلت هى الأخرى إلى مالا نهاية.

وشهدنا عشرات الحروب وسقط آلاف القتلى.. واشتعلت آلاف الحرائق فى كل مكان وأصبح الارهاب والقتل العشوائى والعبوات الناسفة والسيارات الملغومة والقصف الأعمى ظواهر عادية.

وانقلبت النعمة التى بين أيدينا إلى نقمة.. وبدقة أكثر نحن الذين قلبنا هذه النعمة إلى نقمة فنحن ننفق أكثر من ستمائة ألف مليون دولار سنويا على السلاح وعلى أدوات القتل.. ونحن لوثنا الهواء والبحار والأنهار والزروع بالفضلات والعوادم والمبيدات ونحن رصدنا الأموال فى كل مكان لتطوير أسلحة الموت والدمار.

ونحن فى كل مكان نجتمع ولانتفق ونتصافح ويطوى كل واحد قلبه على ضغينة وقد أعلن كل واحد منا عن نفسه دولة مستقلة ذات سيادة، وأصبحنا نتصادم كل يوم بعدد الخمسة آلاف مليون فرد من ساكنى هذا الكوكب.

إن المادة والوفرة لم تقربنا بل فجرت فينا حب المصلحة وحب الاكتناز والرغبة فى الجمع وفجرت أل « أنا الوضيع » النفس الأمارة الحيوانية الشهوانية التى ترغب بلا نهاية.. وأصبح كل منا مجرد جوع لا يشبع.

وتحول هذا أل « أنا الوضيع » إلى جدار غليظ صفيق يفرقنا.. ولم يعد

كل منا يسمع إلا نفسه.. وتحول الحوار إلى كلام من طرف واحـد لأن الآخر لا يسمع.. وانعدم التواصل واستحال الاتفاق.

كيف نعلو على هذه الـ «أنا» ونتجاوزها إلى المرتقى الأعلى من نفوسنا.

هذه هى المشكلة..؟

كيف نتخطى المصلحة الشخصية إلى القيم الأعلى والمثل الأشمل.

إن التدين الشكلى.. والايمان باللسان.. والخلق المظهرى ليس حـلا وإنما المطلوب هو إيمان تذوق وتشرب ومبادئ تمتزج بالشغاف واقتناع يصل إلى مركز الشعور واعتناق يصل إلى نخاع العظم.

المطلوب تدين يصل إلى ذروة الأزمة الوجودية التى تغير صـاحبها وتصهره لتخرج به من حيوانيته إلى إنسانيته.

ويبدو أن العالم كله صائر إلى هذه الأزمة الوجودية ومقبل على هذا المخاض المؤلم.. إن المرحلة الروحانية القادمة لن تولد إلا من خـلال الفشل المادى.. والاسلام الحقيقى لن يولد من مجرد شكليات صـورية مثل إطلاق اللحية أو تقصير الثوب وإنما من محنة عالمية وهائلة تصهر الناس فى أتون العذاب حتى تتطهر معادنهم وتحترق دنـاءاتهم وتـذوب غشاواتهم وتتفتح بصائرهم.

وما نحن فيه الآن من ضنك وإحباط وتعب هو الليل المظلم المـدلهم الذى يسبق الفجر.

وربما اشتد الظلام فى المستقبل القريب وربما ادلهمت الكوارث أكثر وأكثر وربما فاتنا شهود الفجر وقصرت أعمارنا عن بلوغه.. ولكنه قادم.. وحسب كل منا نصيبا أن يسهر على معركته الخاصة الفاصلة ليتعجل ميلاد الفجر فى نفسه هو أولا من خلال محنته هو وعذابه هو ومن خلال أزمته الوجودية الخاصة.. ففى داخل كل منا معركة مع نفسه الأمارة ومع الـ« أنا الوضيع » فى داخله.. ومع شهواته ومصالحه.. عليه أن ينتصر فيها أولا.. إذا أراد لمسيرة النور أن تهزم جحافل الظلام التى تجثم على العالم من جميع أقطاره.

(عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم).

على كل إنسان أن يعلن الثورة على نفسه أولا وأن يعتقل شياطينه وأن يغير سلوكه وأن يجعل من نفسه مثالا وقدوة قبل أن يطالب الآخرين بأن يبدلوا من سلوكهم.

وقد يطول المشوار ولكن سلامة الوصول أكيدة.

أما التغيير التعسفى عن طريق قلب نظم الحكم وعن طريق العنف القهرى فقد يبدو لأول وهلة أنه يقصر المشوار ويختصر التاريخ، ولكن ما يحدث هو العكس، إنه يطيل أمد المحنة ويعطل التاريخ ويستبدل الظلم القديم بظلم جديد ولا يغير نفوسا وإنما يغير كراسى وبطاقات ولم يصدر انقلاب الخومينى إلى جيرانه إسلاما وإنما صدر سيارات ملغومة وصدر متفجرات وشحن أحقادا وأشعل ضغائن.. لقد أخطأ خومينى الطريق مثلما أخطأ عشرات غيره.

إن نفوسنا هى المعاقل الأولى للثورة والتغيير وترويضها وقيادتها هى المنطلق لقيادة أى شىء وليست شقشقة الشعارات وطنطنة الهتافات فليعكف كل منا على نفسه يروضها ويربيها ويزكيها ويكافحها فذلك هو الجهاد الأكبر الذى يصنع الفرد المسلم.. ومن الفرد تنمو العائلة والمجتمع والأمة والتاريخ ولا يأس من طول الطريق.. فإنما أول الغيث قطرة ومعظم النار تبدأ من مجرد شرارة.. وذلك هو المراد حينما يقول لنا القرآن (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم). فذلك إذن هو منطلق التغيير..

أن أغير ما بنفسى..

وأن تغير ما بنفسك..

وأن تشرق شمسنا أولا من داخلنا..

وذلك كلام قديم جدا.. بدأ من أيام سقراط..

الوجه الأمريكى القبيح

ما هى حقيقة الدور الأمريكى فى المنطقة والذى يقابله بالضرورة دور سوفيتى مضاد أدى فى النهاية إلى قيام القوتين العظميين بتحويل المنطقة إلى ساحة للصراع بينهما، تستنزف فيها الدماء والموارد والثروات والخاسر الوحيد هو شعوب المنطقة.

إن هناك أكثر من علامة استفهام حول أبعاد الدور الأمريكى فى المنطقة !

إن أمريكا التى بدأت بمساندة الأقلية المارونية فى لبنان بقوات من المشاة المارينز.. ما لبثت بعد أنهيار جيش أمين الجميل أن سحبت المارينز حتى لا تلعب على جواد خاسر.. واكتفت بأن تطلق القذائف العشوائية من البحر، لتقتل الشيوخ والأطفال والنساء بمدافع النيوجرسى التى يبلغ معدل ما تلقيه من متفجرات فى الدقيقة عدة آلاف من الأطنان.. عمل وحشى بربرى من أعمال القرون الوسطى.

والأغلبية المنكوبة من الدروز والشيعة المسلمين لا يجدون لهم ملجأ سوى السوفيت والسلاح السوفيتى يلتمسونه عبر سوريا..

ويسيل الدم فى لبنان بتشجيع وتآمر دول كبرى.

وفى الخليج كانت أمريكا هى التى استدرجت العـراق إلـى الفـخ الايرانى.. وهى التى طمأنت صدام حسين بأن الـوضع العسـكرى فى إيران منهار، وأن الحرب مع إيران لن تكون أكثر من نزهة، وأن الطريق إلى طهران مفتوح وأنه لن يحتاج لأكثر من أربع وعشرين ساعة يسـوى فيها حساباته.. وهكذا جرجرت أمريكا العراق ومن ورائهـا السـعودية ودول الخليج إلى حرب استنزاف مازالت تستنزف كل دينار من النفـط العربى.. ثم رأينا أمريكا وروسيا معا تمدان الطرفين المتحاربين بالسلاح حتى يستمر اشتعال الحرب ولا يهدأ لها أوار.. وتظل السعودية تـدفع وتظل الحرب تبلع.. وكلما مالت الكفة لصالح طرف على آخر سارعت إلى مساندة الآخر لتستمر المذبحة.

وفى مصر تتدفق الأموال الأمريكية أنهارا لتنفق على حركات مشبوهة ولتثير فتنا طائفية تحت غطاء من أنشطة خيرية ظاهرها برىء..

وفى الصراع العربى الاسرائيلى تأخذ أمريكا جانب إسرائيل إلى آخر الشوط وتعلن أن استراتيجيتها واستراتيجية إسرائيل واحـدة وتعـطى العرب بالقطارة وتغترف لاسرائيل البحر وتغمض عينيهـا عـن الغـزو الاسرائيلى للبنان وتكتفى بكلمات عتاب أقرب إلى الغزل توجهها إلى تل أبيب، وأخيرا تتحرك أمريكا لنقل سفارتها إلى القدس.

وفى أوربا نرى أمريكا تقيم الدنيا وتقعدها لما يجرى فى بولندا وتثير الصحافة والاذاعة والمجتمع الدولى وتصرخ وتهدد من فوق منابر الأمم المتحدة، ثم نراها تغمض عينيها لما يجرى من إبادة شعب أفغانستان المسلم وتكتفى بالاعتراض المهذب المؤدب الرقيق.. وعيب.. «ما يصحش.. مش حانلعب معاكو كورة فى أوليمبياد موسكو».

ونحن العرب متخلفون حقا ولكننا لسنا أغبياء.

والآن وقد برح الخفاء وافتضح المخطط كله وعرفنا ماذا يراد بنا كدول وطوائف وأفراد وجماعات وعرفنا المصير الذى ندفع إليه كالبهائم التى تعصب أعينها وتقاد إلى الذبح.

إن القذائف حينما تسقط علينا لن تميز بين مسيحى ومسلم ولا بين سنة وشيعة.. الكل يموت أمامنا فى لبنان ولقد دفعوا المسلم ليقتل المسلم ودفعوا المسيحى المارونى ليقتل المسيحى الكتائبى والبلدوزرات الاسرائيلية تأتى بعد ذلك لتسوى كل البيوت بالأرض.

إنهم يخططون لخرابنا وكفى، لتظل المنطقة مسخرة لهم خادمة لأهوائهم هى ومن عليها من الناس والدواب هى وما فى باطنها من كنوز وخيرات.. فمتى نتصرف كآدميين.. متى نتصرف كبشر لا كسوائم.. متى نعرف مصلحتنا.

أقول للذين يودعون أموالهم فى أمريكا وإنجلترا وفرنسا ويتصورون أنهم بذلك يحققون لهم ولأولادهم مصلحة..

أقول لقد أودعتم مليارات الدولارات فى بنوك القتلة لتكون قوة تضاف

إلى قوتهم ورصيدها سوف يرتد علينا وعلى أولادنا وعلى أولادكم تشردا وخرابا وفقرا وضنكا.

أقول لهم.. أما كان الأولى لهذه المليارات أن تزرع وتفلح وتستثمر الكنوز وتخرج الحديد والمنجنيز والذهب واليورانيوم من أراضى دول عربية فقيرة مثل مصر والسودان واليمن.

إن الأقمار الصناعية فى أثناء مسحها الشامل للجزيرة العربية والصحراء الكبرى فى مصر وجبال اليمن وغابات السودان كشفت أن هذه المنطقة من العالم هى أغنى مناطق الأرض بالكنوز والمعادن وخزانات المياه الجوفية بعد أمريكا وروسيا.. وأننا ننام كسالى وتحتنا جنات تجرى فيها الأنهار.. ونتقاتل على رغيف وعروق الذهب تحت أرجلنا، وهذه هى المنطقة العربية لا تكاد تجد فيها دولة إلا وهى تعتمد فى سلاحها ورغيفها على أمريكا أو روسيا.. ونتصور أننا أحرار وأننا مستقلون وأننا استعدنا إرادتنا، ونضحك على أنفسنا.. فرقابنا مازالت فى أيديهم هم.. ولن يكون فى إمكاننا أن نصنع قرارا واحدا حرا ورغيفنا وسلاحنا فى أيديهم.

الاستقلال الاقتصادى.. أولا.. العمل أولا وليس الكلام.. الكدح وليس الشعارات.. كفانا انتحارا.. وكفانا غفلة.. لنرتفع إلى مستوى ذكاء هؤلاء الناس ومكرهم، إن مصلحتنا هنا فى هذه الأرض.. فى اجتماعنا معا اليد على اليد لنزرع ونصنع ونعمل ونخطط، المسلم والمسيحى والسنى والكويتى والقطرى والسعودى والمصرى والسودانى واليمنى.

لنرتفع فوق الطائفة والقبيلة والوطن ونفطن إلى المصير المشترك وإلى التهديد بالموت المعلق فوق رءوسنا وفوق رءوس أولادنا.. لنرتفع إلى مستوى المحنة.

إننا فى منعطف تاريخى وفى لحظة تاريخية لا تسمح بالمزايدات.

والذين يظنون أن القواعد الأمريكية سوف تضمنهم، أذكرهم بأن هذه القواعد لم تتحرك حينما انقلب القذافى على السنوسى ولم تتحرك لنجدة شاه إيران من غضبة الخومينى، وأذكرهم بأن أمريكا تخلت عن تايوان حينما قررت أن تغازل الصين الشيوعية، وتخلت عن أمين الجميل حينما انكسر جيشه أمام الدروز، وأقول لهم إن سوابق التاريخ تؤكد أن السياسة الأمريكية ومثلها السياسة السوفيتية لا ذمة لها ولا وفاء.. وأنها لا تعرف سوى المصلحة العاجلة ولا تحسب حسابا إلا للأقوياء.. وأنها تخاف ولا تستحى.. وأنها إذا رأت من مصلحتها أن تدمر علينا ديارنا بالقنابل الذرية فسوف تفعل دون تردد.. ألم تفعلها فى هيروشيما وناجازاكى من قبل.

إنها حضارة مادية واحدة فى روسيا وفى أمريكا.. حضارة لا تؤمن إلا بالقوة ولا تعرف إلا صراع المخلب والناب.

تلك هى قواعد اللعبة التى تجرى حولنا وعلينا أن نتقنها ما دمنا قد أصبحنا طرفا فيها..

لننس خلافاتنا ولنرتفع فوق جراحاتنا لنصبح فى مستوى الموقف ونواجه الموت متحدين، فتكون لنا حسنة أخيرة تشفع لنا بمغفرة

فلا نموت مع الذين خانوا أنفسهم وخانوا أماناتهم وخانوا الله ورسوله.

إن ما نحن فيه الآن هو خزى الدنيا، فدعونا يا إخوة لا نجمع عليه خزى الآخرة.. وإنما العمر ساعة.. وهو لا يستحق منا كل هذا الجبن وكل هذا التردد وكل هذه الأنانية.

وإذا كان كل حاكم يتصور أنه خطط لمصلحة بلده حينما اختار العزلة واختار النظر من منظور وطنى محدود.. فإن ما اختاره هو الضد والنقيض لمصلحته ومصلحة بلده.. ولا أقصد من وراء هذا التلويح بحرب مع إسرائيل أو المطالبة بخيار عسكرى فهذا أمر استبعده حتى المناضلون الفلسطينيون أنفسهم.. وإنما ما أطالب به هو تجمع عربى للبناء ولتكامل اقتصادى عربى ولتخطيط مشترك لمواجهة احتمالات المستقبل ولمقابلة المكر الدولى بمكر مثله ولمقابلة مؤامرات التفتيت بالصف الواحد والكلمة الواحدة.

أما المعركة فحبالها طويلة بطول التاريخ.. وبيننا وبينها الاستعداد لها أولا.. الاستعداد السياسى والاستعداد الاقتصادى والاستعداد العسكرى والاستعداد النفسى.

وإنما أدعو كل واحد لينتصر على نفسه أولا فتلك هى المعركة الأولى الضرورية قبل خوض المعركة الكبرى، وهكذا فعل طالوت حينما قاد جنوده لحرب جالوت فقال لهم:

(إن الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فإنه منى إلا من اغترف غرفة بيده) [٢٤٩ - البقرة].

فذلك النهر هو الدنيا التى غرقنا فيها ورحنا نعب منها حتى أصابتنا الغفلة وتهالكت علينا الأمم تهالك الجياع على القصعة، فلم تنفعنا كثرتنا وإنما كنا كغثاء السيل وأصاب منا الأعداء ما أرادوا.

وإنما طلب طالوت من كل جندى أن يقاوم نهر الدنيا، وأن ينتصر على شهوته أولا، فإذا ألح عليه العطش اكتفى بغرفة من يده.. وكان هذا هو البلاء والاختبار المطلوب لخوض المعركة.

وهذا حالنا اليوم.

وهذا هو المطلوب الأول منا.. أن ينتصر كل منا على حب الدنيا فى نفسه استعدادا لخوض المعركة الكبرى.

وبعد يا سادة.. فقد اتضح كل شىء ولم يبق شىء، يقال فإما أن نكون أو لا نكون..

الطريق إلى حكم إسلامى

العلمانيون على الطرف الآخر من المائدة عندهم دائما اعتراض «جاهز» على القرآن الكريم كلما بدأ نقاش فى السياسة.. إن القرآن الكريم ليس فيه نظرية مفصلة عن نظام الحكم وليس فيه أيديولوجية سياسية واضحة.. وإن المفسرين اختلفوا فى ذلك. وذهبوا شيعا.. والتاريخ الاسلامى امتلأ بفترات طويلة من الطغيان الفردى والملك العضوض والديكتاتوريات التى ادعت التفويض الالهى.. والخلافة جاءت أحيانا بالبيعة وأحيانا بالوراثة وأحيانا بالسيف والاغتصاب.. وجاء كل خليفة بنص قرآنى يؤيده.. وهم لهذا يرفضون الدعوة إلى حكم إسلامى بحجة أن هذا الحكم سوف يختلف الناس فى تصوره شيعا ومذاهب وأن المسلمين لن يجتمعوا به تحت راية واحدة بل سوف يتفرقون به تحت مائة راية وراية.

والمقدمة الجدلية لهذا الكلام سليمة وإن كانت النتائج غير صحيحة.. فالقرآن الكريم بالفعل ليس فيه نظرية مفصلة عن نظام الحكم وليس فيه

بالفعل أيديولجية سياسية محددة.. والسبب أن الله كان يعلم سلفا بمـا سوف يجد من ظروف وتطورات فى المجتمعات البشرية وبما سوف يتبدل فى البيئات وفى نظم الانتاج مما يستدعى التغير المستمر والتطور المستمر فى نظم الحكم ويترتب على هذا أن نزول نظرية سياسية واحدة لكل العصور يصبح تعسفا يتنافى مع العدل الالهى ولهذا اكتفى القـرآن الكريم بالتوصيات العامة وإرساء الأركان والأسس مثل : العدالة والحرية الفردية والشورى والملكية والمساواة أمام القـانون وعـدم التفـاضل بالأحساب والأنساب ولا بالعنصر ولا بالعرق ولا باللون والقضاء للناس بالشريعة وليس بالهوى.. ثم ترك القرآن الكريم التفـاصيل والهيـاكل التنظيمية لما يجد من ظروف متغيرة مما يستدعى أن تكون هذه الهياكل متغيرة.. وهذا بعض من عظمة القرآن الكريم وكماله وليس نقصا فيـه ولا طعنا عليه.

القرآن الكريم أراد للفكر السياسى أن يكون نـاميا متـطورا شـديد المرونة سريع التجاوب مع الظروف المتغيرة.. فلم يسجنه فى أطر حديدية جامدة من النصوص والله أراد الاسلام منهجا ليتلاحم مع الواقع المتغير ويتفاعل معه ويتطور معه ولم يرد به أن ينعزل ويتقوقع ويتجمد ويـرفض ويتحجر فى نصوص وحروف.. وذلك شاهد من شواهد الاعجاز والحكمة فى التقدير والتدبير

وهذا المدخل القرآنى نفسه هو أكبر حماية لنا من أن يظهر بـابوات وطواغيت أمثال الخمينى ممن يحملون عصا غليظة يحاولون أن يفرضوا بها منهجا لهم فى التفسير أو نظرية فى الحكم على اعتبار أنهـا القـرآن

الكريم وأنها مراد الله الذى لا يناقش.

هذا المدخل القرآنى بحكم اتساعه يرفض مثل هـذه الاحتـكارات ويرفض مثل هذا التعسف وهو بطبيعته السـمحة يقبـل الاجتهـادات المختلفة والأفكار السياسية المتعددة.. بل ويقبل تعدد مناهج الحكم فى الوقت الواحد فى الأوطان الاسلامية التى تتباين ظروفها وتختلف بيئاتها دون أن يطعن أحدها الآخر فى إسلامه فإنما المراد هو العدل والحـرية والشورى والمساواة أمام القانون ونبذ الهوى والتعصـب والعنصريـة والحكم بالشريعة وعبادة الله وأينما كان الهيكل السياسى التنظيمى يحقق هذه الغايات فهو إسلامى.

وهذا يفتح الباب للمزاوجة بين الكلمة القرآنية وبين الانسانية علـى اتساعها.. والاسلام بهذا يأخذ ويعطى من وإلى جميـع النـظم دون أن يتقوقع على نفسه.

فإذا تكلمنا بلغة العصر فإن البضاعة السـياسية المـطروحة هـى الديمقراطية. والاسلام لا يرفض الـديمقراطية.. بـل إن الاسـلام فى جوهره ديمقراطى فالحاكم الاسلامى يأتى بالبيعة والاسـتفتاء والأمـة تستفتى فى اختيار من يتولى عليها والأغلبية والاجماع لهما وزنهمـا فى الترجيح والحاكم لا يصح له أن ينفرد بالرأى دون مشـورة. وجمهـور المسلمين يختار نوابه وممثليه، ولكن الاسلام له تحفظاته على المفهـوم الغربى للديمقراطية فلا يجوز فى الاسلام الاستفتاء على شريعة ولا وزن لأغلبية مهما بلغت ولو صارت إجماعا أن تبيح زنى أو تحـل لـواطا أو

تشرع سرقة.. فهى أغلبية ساقطة مثل أغلبية العميان يتفوق عليها مبصر واحد.

والمعارضة حق للمواطن.. وتعبير المعارضة عن نفسها من خلال الحزب الواحد أو الأحزاب المتعددة هى اختلافات تنظيمية شكلية لا تتنافى مع جوهر العقيدة الاسلامية.

والاسلام يرفض الشيوعية كمنهج اقتصادى، لأنه يجور على الأفراد ويعطل ملكاتهم ويقهر حرياتهم، كما أنه يرفض الرأسمالية لأنها تبيح الاستغلال بلا حدود. وإنما يقع الاقتصاد الاسلامى على طريق الوسط. (فلكم رءوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون) وهذا أقرب ما يكون إلى الاقتصاد الحر الموجه حيث يكون الفرد حرا فى أن يمتلك ويستثمر بشرط أن يدفع حق الفقير وحق المجتمع زكاة وضرائب ترتفع مع ارتفاع دخله لتصل إلى أى مدى حسب ما تقتضى المصالح العامة. وفى الاسلام يحل البنك الاسلامى الاستثمارى محل بنك التسليف الربوى شيئا فشيئا حتى يصبح هو القاعدة الاقتصادية الجديدة.

ومعنى ذلك أن الحكم الاسلامى يمكن أن يبدأ من الاجتهادات السياسية المطروحة ومن الواقع الحالى دون انقلاب ودون ثورة. الاسلام ليس فى حاجة إلى «كاسترو» جديد وليس فى حاجة إلى مبتدع يخرج علينا بنظرية جديدة فى الحكم يدعو إليها بانقلاب عسكرى. الحكم الاسلامى ليس أكثر من موقف انتقائى يتفاعل مع الموجود ويثريه وينهض به دون قهر ودون عنف. والاسلام فيه من الحيوية والمرونة والقدرة على الامتزاج والتوافق والمصالحة مع التراث الانسانى

ما يجعله أشبه بالسحابة التى تهمى على الأرض فتخصبها وتنبت أجمل ما فيها دون مصادمات ودون تناقض ودون مشادة.. لأن الاسـلام ليس عضوا غريبا يرفضه الجسم الحى، بل هو عين الحياة ذاتها.

ولهذا كان التصور الاسلامى المقترن بالعنف والانقـلاب والثـورة تصورا مجافيا لروح الاسلام بالكلية.. فالاسلام ليس نقيضا للمـوجود.. بل إنه روح الموجود.. وأحسن ما فى الموجود.

وإذا قدر للاسلام أن ينجح وأن يغزو وأن ينتشر فإنما بهـذا الغـزو المسالم الذى ينهض بالواقع دون أن يدمره وبهذه الخـطى الانتقـائية التى تأخذ بيد المجتمعات هونا وفى ترفق خطوة خـطوة ومـرحلة بعـد مرحلة.

وما يقال غير ذلك.. هو تجارة الكلام وسوق الشعارات ومزايدات أهل الفتن الذين يتعجلون الكراسى وليس الاسلام ولم يكن الاسـلام أبـدا ولا فى أى يوم لعبة كراسى.

الفهرس

صدر للمؤلف

١ - الله والإنسان
٢ - أكل عيش
٣ - عنبر ٧
٤ - شلة الأنس
٥ - رائحة الدم
٦ - إبليس
٧ - لغز الموت
٨ - لغز الحياة
٩ - الأحلام
١٠- أينشتين والنسبية
١١- فى الحب والحياة
١٢- يوميات نص الليل
١٣- المستحيل
١٤- الأفيون .. (سيناريو)
١٥- العنكبوت
١٦- الخروج من التابوت
١٧- رجل تحت الصفر
١٨- الإسكندر الأكبر
١٩- الزلزال
٢٠- الإنسان والظل
٢١- غوما
٢٢- الشيطان يسكن فى بيتنا
٢٣- الغابة
٢٤- مغامرة فى الصحراء
٢٥- المدينة (أو حكاية مسافر)
٢٦- اعترفوا لى
٢٧- ٥٥ مشكلة حب
٢٨- اعترافات عشاق
٢٩- القرآن محاولة لفهم عصرى
٣٠- رحلتى من الشك إلى الإيمان
٣١- الطريق إلى الكعبة
٣٢- الله
٣٣- التوراة
٣٤- الشيطان يحكم
٣٥- رأيت الله
٣٦- الروح والجسد
٣٧- حوار مع صديقى الملحد
٣٨- الماركسية والإسلام
٣٩- محمد
٤٠- السر الأعظم
٤١- الطوفان
٤٢- الأفيون .. (رواية)
٤٣- الوجود والعدم
٤٤- من أسرار القرآن

- ٤٥- لماذا رفضت الماركسية
- ٤٦- نقطة الغليان
- ٤٧- عصر القرود
- ٤٨- القرآن كائن حَيّ
- ٤٩- أكذوبة اليسار الإسلامى
- ٥٠- نار تحت الرماد
- ٥١- المسيخ الدجال
- ٥٢- أناشيد الإثم والبراءة
- ٥٣- جهنم الصغرى
- ٥٤- من أمريكا إلى الشاطئ الآخر
- ٥٥- أيها السادة اخلعوا الأقنعة
- ٥٦- الإسلام ... ما هو ؟
- ٥٧- هل هو عصر الجنون ؟
- ٥٨- وبدأ العد التنازلى
- ٥٩ - حقيقة البهائية
- ٦٠- السؤال الحائر
- ٦١- سقوط اليسار

* مجموعة المؤلفات الكاملة *

قصص مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢
روايات مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢
مسرحيات مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢
رحلات مصطفى محمود	صدرت فى بيروت عام ١٩٧٢

حازت رواية « رجل تحت الصفر » على جائزة الدولة لعام ١٩٧٠

رقم الإيداع	١٩٩٨/١٥٦٩٩	
الترقيم الدولى	977-02-5665-X	ISBN

١/٩٨/٩٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)

هذه المجموعة

تحرص دار المعارف دائماً على تقديم الأعمال الكاملة لكبار المفكرين والأدباء. والدكتور مصطفى محمود واحد من هؤلاء الذين أخلصوا للقلم.. فأثرى ساحة الفكر والعلم.. وطَرَقَ أبوابًا جديدة لم تفتح من قبل.. فتنوع إنتاجه بين القصة والرواية والمسرحية وأدب الرحلات.. إلى جانب تلك المؤلفات التى تحفل بالنظرات المعاصرة للفكر الدينى والمقارنة بالنظرات العلمية الحديثة.. والتى لاتزال تثير مزيدًا من الجدل المفيد.

وقد امتد تأثير فكر الدكتور مصطفى محمود إلى القراء العرب من الخليج إلى المحيط كما ترجمت بعض أعماله إلى اللغات الأجنبية شاهدة بقدرته على العطاء المتميز المتنوع.



٠٤٣٩١٩/٠١

